دور المرأة المكية في الحركة الفكرية في القرن التاسع الهجري

د. عائض بن محمد الزهراني
مركز التدريب وخدمة المجتمع والتعليم المستمر
كلية المعلمين بمحافظة الطائف

ازدهرت مكة المكرمة فكرياً، وأصبحت مقصد العلماء في كل فن، حتى عدّت من أكبر المراكز التي يفد إليها مئات الآلاف من المسلمين في كل عام لأداء الركن الخامس من أركان الإسلام "الحج"، ومعهم المئات من العلماء وطلاب العلم الذي يجاورون بعد انتهاء الموسم، وبهم تعقد الحلقات العلمية، وتلقى المحاضرات الدينية، وأصبحت بذلك مكة المكرمة من أهم مراكز الإشعاع الثقافي والديني، وبرز التنافس العلمي الشريف بين العلماء، وأدى إلى ازدهار ونمو الحركة العلمية بمكة المكرمة.

كما احتوت العديد من الثقافات التي لا تتوافر في أي مدينة أخرى، وشهدت بذلك تطوراً ثقافياً بارزاً، وسادها جو من الثقافة والحضارة الإسلامية خاصة في مجال الدراسات الدينية، وانفردت عن غيرها حتى صارت مركزاً للهداية والإرشاد ومنبعاً للإشعاع الروحي.

وتذكر لنا المصادر التاريخية المكية توهج بعض أمراء الحجاز ممن كان لديهم توجه علمي ملحوظ، ورغبة في العلم، فقد كانت مجالسهم ندوات تحفل بكبار العلماء، كما تتجلى في كثير من الأمراء روح

البحث العلمي؛ مما دفعهم إلى تسجيل آثارهم العلمية من عمارة ومكتبات وإنشاء مدارس وأوقاف لطلبة العلم(١).

واتسعت دائرة الاهتمام حتى شملت السلاطين والأمراء في الدول الإسلامية والبيوت العلمية ذات الثراء بالحركة العلمية، وإغداق الأموال على العلماء والمجاورين والإسهام في استحداث مدارس وأربطة(٢)، فتمدنا المصادر التاريخية أن عدد المدارس أصبح في القرن العاشر الهجري أكثر من ثلاثين مدرسة(٣)، كما انتشرت حلقات الدرس في الأربطة التي أغلب سكانها من طلاب العلم، فقاموا بتغذية الأربطة بالكتب مستمرة من قبل الساكنين خاصة في أربطة النساء؛ مما جعلها تسهم بشكل إيجابي ملموس مؤثر في تنشيط الحياة العلمية، وتصبح مناراً للعلم والإقراء والتثقيف، وأدى ذلك إلى ازدهار التأليف في شتى العلوم والمعارف.

ولم يقتصر العلم والتصنيف على الرجال بل لقد اشتهر بمكة المكرمة الكثيرات من العالمات اللاتي تحدثت عنهن كتب الطبقات(٤).

---

(١) ابن فهد، عبدالعزيز بن عمر (العز)، بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى، نسخة مكتبة الحرم المكي، رقم ١، تاريخ دهلوي، ورقة ١١١ ب، ابن فهد (العز)، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق: فهيم شلتوت، مكة، جامعة أم القرى، ١٤٠٩هـ، ج٢، ص٥٩٨، ابن فهد، جار الله محمد، نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى، ص ١١٣، ١٩٨.

(٢) ابن فهد، عمر بن محمد (النجم)، إتحاف الورى بأخبار أم القرى تحقيق: فهيم شلتوت، مكة، جامعة أم القرى، ١٤٠٤هـ، ج ٣، ص ٦٣٤، العيدروسي، عبدالقادر محيي الدين، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، تصحيح محمد رشيد، بغداد مطبعة التراث، ١٩٣٤م، ص ١٠٤.

(٣) جار الله بن فهد، نيل المنى، ص ٧٥، ١٦٨، ٢٤٧، النهروالي، محمد بن علاء الدين، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، بيروت، دار خياط، ١٩٦٤م، ص٣٥١، القطبي، عبدالكريم محيي الدين، إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام، علق عليه أحمد محمد محيي، وعبدالعزيز الرفاعي، ط١، الرياض، دار الرفاعي، ١٩٨٧م، ص٢٩٢.

(٤) ابن فهد، عمر بن محمد (نجم الدين)، الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، نسخة مكتبة رضا رامبور، الهند، تاريخ، رقم ٣٦١٢، ورقة ١١٩ أ، إتحاف الورى، ج٢، ص ٥٦٤، جار الله بن فهد، نيل المنى، ص ٩٧، ١٨٣.

فالمرأة المكية المسلمة بحكم تكاليفها كالرجل، فهي صاحبة رسالة في الحياة، ولذا وجب أن تكون اجتماعية فعالة مؤثرة، ما أسعفتها ظروف حياتها وأسرتها وإمكاناتها بذلك، تخالط النساء على قدر استطاعتها، وتعاملهن بخلق الإسلام الرفيع الذي يميزها عن غيرها من النساء(٥).

وحيثما وجدت المرأة المتعلمة الواعية كانت منار إشعاع، ومشكاة هداية، ومصدر توجيه، وعامل بناء وتسديد وتوعية بأقوالها وأفعالها على السواء، ذلك أن المرأة في المجتمع المكي التي استنارت بهدي القرآن الكريم، وارتوت من منهل السنة النبوية المطهرة، شخصية اجتماعية راقية من الطراز الأول، مؤهلة لتقوم بواجبها الدعوي في المجتمعات النسائية، مفتحة العيون والأذهان والبصائر على هدي هذا الدين العظيم الذي سما بالمرأة في وقت مبكر جداً من تاريخ المرأة في العالم، وزودها بمجموعة كبيرة جداً من مكارم الأخلاق، نطقت بها نصوص هذا الدين الحنيف من قرآن كريم وحديث شريف، وجعل التخلق بها ديناً، يثاب المرء عليه، ويحاسب على تركه، فاستطاعت هذه النصوص أن تجعل من شخصية المرأة الصادقة مع ربها نموذجاً فذاً للمرأة الاجتماعية الراقية المهذبة التقية العفيفة الخيرة(٦).

إن المرأة في مكة المكرمة الواعية بأحكام دينها الحق مجسدة قيم دينها وشمائله الحسان، بتطبيقها العملي لهذه القيم وتحليها بتلك الشمائل، فقوام شخصيتها الاجتماعية المتميزة رصيد ضخم من تلك القيم الإسلامية في سلوكها الاجتماعي ومعاملتها للناس، فمن هذا النبع الثر الكبير تمتاح المرأة المكية أعرافها وعاداتها وسلوكياتها

---

(٥) معروف الدواليبي، المرأة في الإسلام، دار النفائس، بيروت، ١٤٠٩هـ، ص ٥٦.

(٦) عائشة عبدالرحمن، تراجم سيدات بيت النبوة، دار الكتاب العربي، بيروت، دون تاريخ، ص ٨٦.

ومعاملاتها، ومن هذا المعين الصافي والمورد العذب تنهل لتزكية نفسها، وتكوين شخصيتها الاجتماعية المسلمة(٧).

وبدا جلياً لا غبش فيه أن المرأة المكية التي استنارت بهدي دينها امرأة راقية مهذبة واعية نابهة منتجة بناءة طاهرة سامية، تعرف عن وعي وبصيرة وإدراك واجباتها نحو ربها، ونحو نفسها، ونحو مجتمعها كله، بكل ما يضطرب فيه من أناس وأحداث ومعاملات.

لم تلتزم المرأة في مكة المكرمة أثناء تعليمها بما يفرضه عليها دينها فقط، وليس المراد بالتعليم تعليم المرأة العلوم الشرعية فقط، حيث لا مانع أن تتعلم الطب لتعالج الإناث، وتتعلم المفيد من العلوم لتعلم النساء، إلى غير ذلك من العلوم التي تفيد بها بني جنسها، ولقد بلغت شأواً في تفعيل فكرها، علماً بأنها كانت رهينة إلى حد بعيد بثقافة عصرها التي نشأت فيها وتأثرت بها(٨). ولم يختلف وضع المرأة ومكانتها العلمية على مدى العصور، بل استمر على ما هو عليه، حتى إن كثيراً من مؤرخي مكة كانوا يفردون فصولاً(٩) في مؤلفاتهم للحديث عنهن وعن دورهن العلمي.

ولذلك فإننا نجد تعليم المرأة في مكة المكرمة كان يتم من خلال ثلاثة طرق:

١ - أن تتعلم على يد امرأة مثلها من المعلمات(١٠).

٢ - أن تأخذ المرأة العلم عن رجل أو رجال من ذوي محارمها، وهذه الطريقة هي أشهر الطرائق وأوسعها انتشاراً، إذ إن تلك الأعداد

---

(٧) مصطفى السباعي، المرأة بين الفقه والقانون، المكتب الإسلامي، القاهرة، ١٤٠٤هـ، ص ٣٧.

(٨) جار الله بن فهد، نيل المنى، ص ٢٢، ٩٧، ١١١، ١٤٥.

(٩) الفاسي، محمد بن أحمد (تقي الدين)، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: محمد فؤاد السيد، ج ٨، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ، النجم بن فهد، معجم الشيوخ، تحقيق: محمد الزاهي، الرياض، دار اليمامة، ١٤٠٢هـ، الدر الكمين، ورقة ١٩٨.

(١٠) النجم بن فهد، الدر الكمين، ورقة ١٩٨، عز الدين بن فهد، بلوغ القرى، ورقة ٩٨ أ.

الكبيرة من العلماء الذين حفلت بهم كتب التراجم سوف يعلمون أضعاف عددهم من النساء(١١).

٣ - عند الضرورة قد تأخذ عن الرجال من غير ذوي المحارم إما خلف ستر، أو يكون الرجل ضريراً معروفاً بالعفة(١٢).

لقد تعودت المرأة المكية أن تسلك سبل العلم المختلفة، وأن تطرق أبوابه، وتحملت الصعاب في سبيل ذلك غير مكترثة بما يصادفها من مصاعب؛ بذلك يتضح أن كثيراً من العلماء منحوا الإجازة لبعض النساء، وكذلك كثيراً من العلماء أخذوا العلم من أفواه النساء.

وقد ذكرت لنا كتب التراجم أسماء كثيرة من عالمات العصر ونشاطهن العلمي، ويلحظ أن معظمهن كان لهن اهتمام بعلم الحديث، كما أن معظم النساء في الحجاز نشأن في منازل الأسر العلمية، حيث تنافسوا في أن تكون دورهم مجالس علمية قامت بدور مميز في تطور الحركة العلمية في مكة المكرمة، واستطاعت أن تقوم بدورها في التعليم والمناقشة والجدل والمناظرة، وتتداول في هذه الدور العلوم كافة من حديث وفقه وتفسير ونحو وأدب وغير ذلك(١٣).

وكانت النساء في الحرمين الشريفين يأتين إلى المساجد للعبادة أو لسماع الخطب والمواعظ، كما كن يلقين المواعظ والدروس من خلال منازلهن والأربطة، وكن يحضرن المواعيد بها، وقد أجازت بعض العالمات في الحرمين الشريفين لكثير

أجازت بعض العالمات في الحرمين الشريفين لكثير من الرجال والنساء

---

(١١) جار الله بن فهد، نيل المنى، ص ٧٨.

(١٢) جار الله بن فهد، نيل المنى، ص ٧٨، ١١٨، ٤١٣.

(١٣) السخاوي، محمد بن عبدالرحمن (شمس الدين)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، القاهرة، مكتبة حسام المقدسي، ١٣٥٣هـ، ج١٢، ابن تغري بردي يوسف (جمال الدين)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: فهيم شلتوت، القاهرة، مطابع وست توماس، ١٩٧١م، ابن فهد، الدر الكمين، الفاسي، العقد الثمين.

من الرجال والنساء، وحرصت المرأة في الحرمين الشريفين على تحصيل الإجازات(١٤) من العلماء والشيوخ(١٥).

ويلحظ أن إجازتهن وأخذهن للعلم كان على أيدي آبائهن أو أجدادهن، أو أزواجهن، أو أبنائهن، أو غيرهم من المحارم كأسرة بني فهد، وأسرة الطبري، وأسرة العسقلاني، وأسرة الفاسي، وأسرة بني ظهيرة، وأسرة النويري، وأسرة المرشدي(١٦).

وإذا كان هناك بعض النساء أجاز لهن بعض العلماء من غير هؤلاء المحارم فإن هذه الإجازات طلبها لهن آباؤهن في صغرهن(١٧)، وكان لهن دور في الحركة العلمية من خلال الأسر الحجازية، ومنهن زينب بنت الرضي محمد بن المحب محمد (ت٨٦٢هـ/ ١٤٥٧م)(١٨)، اقتصر نشاطها أيضاً على الإجازة، فقد أجازت للسخاوي، والنجم بن فهد وغيرهما(١٩)، وأم كلثوم ابنة محمد بن أبي الفتح محمد بن أحمد الفاسي (ت ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م)(٢٠) روى عنها النجم بن فهد الحديث.

ومن أبرز النساء أيضاً في الإجازة: أم الحسن بنت محمد (ت ٨٢٧هـ/ ١٤٢٣م)(٢١)، عمة التقي، فقد أجيزت وحدثت وسمع منها النجم بن

---

(١٤) الإجازات: مصدر أجاز، واستجاز طلب الإجازة؛ أي: الإذن، وهي عبارة عن إذن الشيخ لتلميذه؛ يروي عنه مروياته أو مؤلفاته وأركانها أربعة: المجيز، والمجاز له، ومادة الإجازة، ولفظ الإجازة، وهذا الركن الأخير إما أن يكون مشافهة أو كتابة. (الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ط٢، القاهرة ١٣٧١هـ، ج٢، مادة أجاز، ص ١٧٦، الخطيب البغدادي: الكفاية في علم الرواية، ط١، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ص ٤٦٦).

(١٥) النجم بن فهد، معجم الشيوخ.

(١٦) عز الدين بن فهد، غاية المرام، ج١، ص ١٧.

(١٧) جار الله بن فهد، نيل المنى، ص ٤٣.

(١٨) النجم بن فهد، الدر الكمين، ورقة ٢٠٦ أ، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص٤٣.

(١٩) النجم بن فهد، معجم الشيوخ، ص ٣١٧، السخاوي، المصدر السابق، ج١٢، ص٤٨.

(٢٠) النجم بن فهد، الدر الكمين، ورقة ٢٢٩ أ.

(٢١) الفاسي، العقد الثمين، ج٨، ص٢٣٠، السخاوي، الضوء اللامع، ج ١٢، ص ١٣٧.

فهد(٢٢)، ووالدة التقي بن فهد المدعوة حليمة بنت أحمد بن محمد الأصفوني (ت ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م) التي سمع منها ولدها التقي وبنوه(٢٣)، وست قريش فاطمة بنت التقي (ت ٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م)(٢٤)، أجاز لها علماء من الحرمين، وبيت المقدس، والخليل، ومصر، ودمشق، وحلب، وحماة، وحمص، وبعلبك، وطرابلس، وغزة، والرملة، والإسكندرية، وسمعت بنفسها، وأجازت لأخيها النجم(٢٥)، وكذلك أم هانئ زينب ابنة التقي (ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م)(٢٦)، عالمة ورحالة، أجازت لأخيها النجم بن فهد والسخاوي(٢٧)، وكمالية ابنة نجم الدين محمد بن أبي الخير (ت ٨٦٦هـ/ ١٤٦١م)(٢٨).

وست الأهل ابنة تقي الدين بن فهد (ت ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م)، حضر بها النجم بن فهد على عدد من العلماء، وسمعت الكثير عليهم، ورحلت إلى عدد من المدن الإسلامية، أجاز لها ابن حجر، والبرهان الحلبي وغيرهما(٢٩).

ومن أبرز النساء، كذلك زينب بنت أحمد بن محمد بن موسى الشوبكي المكي (٧٩٩ - ٨٨٦هـ/ ١٣٩٧ - ١٤٨١م)(٣٠)، التي أخذت الكثير من العلوم الإسلامية على يد علماء مكة المكرمة والقادمين إليها، فقد

---

(٢٢) السخاوي، المصدر السابق، ج١٢، ص ١٣٧.

(٢٣) المصدر السابق، ص ٨٨.

(٢٤) النجم بن فهد، معجم الشيوخ، ص٤٠٤، الدر الكمين، ورقة ١٠٨، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص١٠٤.

(٢٥) المصدر السابق، ص٤٠٤، النجم، الدر الكمين، ورقة ٢٠٨ أ.

(٢٦) النجم بن فهد، معجم الشيوخ، ص ٣٩٧، الدر الكمين، ورقة ٢٣١أ، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص١٥٩.

(٢٧) النجم بن فهد، معجم الشيوخ، ص ٣٩٧، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص١٥٩.

(٢٨) النجم بن فهد، الدر الكمين، ورقة ٢١٨ أ، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص١٢١ - ١٢٢.

(٢٩) السخاوي، المصدر السابق، ج ١٢، ص ١٤٦ - ١٤٧.

(٣٠) النجم بن فهد، الدر الكمين، ورقة ٢٠٤ أ، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ٣٩.

حضرت في الخامسة من عمرها على البرهان بن صديق، وسمعت منه "سنن ابن ماجه"، وكتاب "أخلاق النبي ﷺ"(٣١)، وجزءاً من حديث أبي يعلى الخليل، ومجلساً من "الملل" وجزءًا من "حديث الإفك"، وحدثت بها مع جميع "سنن ابن ماجه" سمع منها عمر بن فهد وغيره، كما حدثت ببعض الكتب، وأجاز لها في سنة (٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م) كثير من العلماء.

ومن أبرزهم العراقي، والهيثمي، والمراغي، والشهاب الجوهري، وأبو الطيب السمولي، والمجد اللغوي، وعائشة بنت محمد بن عبدالهادي، وكانت كثيرة العبادة مباركة صالحة(٣٢).

وحصل العديد من نساء الحرمين الشريفين على إجازات بالمراسلة من علماء الأقطار الإسلامية، وهناك من نساء الحرمين الشريفين من أجزن بالاستدعاءات؛ أي: أن المستجيزين كتبوا إليهن استدعاءات يطلبون فيها إجازاتهن، ويتضح ذلك من خلال إجازات العلماء لهن في السنوات الأولى من عمرهن، ومثال ذلك: صفية ابنة ياقوت بن عبدالله الحبشي المولودة سنة (٨٠٤هـ/ ١٤٠١م)(٣٣)، خالة النجم بن فهد، فقد سمعت من الشيخ نور الدين بن سلامة، وأجاز لها في سنة (٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م) وما بعدها، المرجاني، وابن صديق، وأبو بكر المراغي، والعراقي، وعائشة بنت عبدالهادي، وعبدالكريم بن محمد بن عبدالكريم الحلبي وجماعة كثيرون، أخذ عنها ابن فهد، وقرأ عليها وروى عنها بعض الأحاديث وأجازت للسخاوي(٣٤)، وكذلك أم هانئ

---

(٣١) هو كتاب "أخلاق النبي" لمحمد بن عبدالله الوراق المتوفى سنة ٢٤٩هـ/ ٨٦٣ م (المنجد، صلاح الدين، معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ١٨٤).

(٣٢) النجم بن فهد، الدر الكمين، ورقة ٢٠٤ أ، الضوء اللامع، ج١٢، ص٣٩، ابن فهد، معجم الشيوخ، ص ٣٠٥.

(٣٣) النجم بن فهد: الدر الكمين، ورقة ٢١٠ أ، ورقة ٢١٠ ب، السخاوي، الضوء اللامع، ج ١٢، ص٧١، ٧٢.

(٣٤) النجم بن فهد، الدر الكمين، ورقة ٢١٠ أ، ورقة ٢١٠ب، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ٧١ - ٧٢، ابن فهد، معجم الشيوخ، ص ٣٢١.

فاطمة بنت محمد بن حسن القرشي الزبيري الفاقوسي (المولودة سنة ٧٨٨هـ/ ١٤٨٦م)(٣٥)، التي أسمعها أبوها في صغرها من التنوخي، وقد أخذ عنها النجم بن فهد(٣٦)، وكمالية ابنة العلامة نجم الدين محمد بن أبي بكر بن علي بن يوسف الأنصاري المكي الشهير بالمرجاني (٧٩٤ - ٨٨٠ هـ)(٣٧)، التي سمعت في صغرها على كثير من العلماء، وأجازها، البرهان الشامي، وأحمد بن خليل العلائي، والسويداوي، والحرستاني، وابن الشيخة، والعراقي، والهيثمي وغيرهم، وحدثت وسمع منها الفضلاء في مكة المكرمة، وكانت إلى جانب التحديث تجيد القراءة والكتابة، وقد أخذ عنها النجم بن فهد الكثير من الأحاديث الشريفة(٣٨)، ورقية ابنة الشيخ عبدالقوي بن محمد بن عبدالقوي المكي (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)(٣٩)، التي أجازها في سنة (٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م) البرهان بن صديق، والحافظ الهيثمي، والحافظ العراقي، وقد أخذ عنها النجم بن فهد(٤٠).

كما عرفت من نساء الحرمين الشريفين، أم الحسن بنت أبي العباس أحمد بن محمد بن عبدالمعطي بن مكي بن طراد الأنصاري (ت ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م)(٤١)، والتي سمعت من زينب ابنة أحمد ابن ميمون التونسي "البلدانيات" للسلفي(٤٢)، وأجاز لها العالم المحدث

---

(٣٥) السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص١٠٢.

(٣٦) المصدر السابق، ج١٢، ص١٠٢.

(٣٧) النجم بن فهد، معجم الشيوخ، ص ٣٢٨، الدر الكمين، ورقة ٢١٧ ب، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص١٢١.

(٣٨) النجم بن فهد، معجم الشيوخ، ص ٣٢٨، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص١٢١، عمر رضا كحالة، أعلام النساء، دمشق، مطبعة الترقي، ١٩٦١م، ج٤، ص ٢٦٤.

(٣٩) النجم بن فهد، الدر الكمين، ورقة ٢٠٢ ب.

(٤٠) المصدر السابق، ورقة ٢٠٢ ب.

(٤١) النجم بن فهد، معجم ابن فهد، ورقة ٦٤ ب.

(٤٢) البلدانيات للسلفي، وهو أن يروي عن أربعين شيخاً في أربعين بلدة، والسلفي هو أبو طاهر بن محمد السلفي الأصبهاني نزيل الإسكندرية، زار معظم البلاد العربية والإسلامية، اشتهر بالتأليف، توفي سنة ٥٧٦هـ/ ١١٨٠م. (الكتاني، فهرس الفهارس، ج٢، ص ٩٩٤).

صلاح الدين العلائي، وسالم المؤذن، والعز بن جماعة، ومحمد بن عمر بن قاضي شهبة، وكذلك أجاز لها إخوتها الشهاب الحنفي، والجمال بن عبدالمعطي، غير أنها لم تحدث(٤٣)، وكذلك حُسن ابنة الشيخ محمد الحافي بن حسن السعدي المكي (ت ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م)(٤٤)، التي سمعت من التقي البغدادي في سنة (٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م)، والكمال بن حبيب، والعز بن جماعة، وحدثت بذلك، وسمع منها كثير من العلماء، ومن أبرزهم النجم بن فهد(٤٥)، وكذلك صفية ابنة محمد بن محمد بن عمر البسكري المدنية نزيلة مكة كانت واعظة مشهورة (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)(٤٦)، سمعت على جدها وعلى البرهان بن صديق "الأربعين المخرجة"(٤٧)، وزينب بنت يوسف بن إبراهيم بن أحمد البنا المدنية (ت٨٤٩هـ/ ١٤٤٥م)(٤٨)، سمعت من أبيها سنة (٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م)، نسخة "ابن مسهر"(٤٩)، وقد أنابها الشهاب أحمد بن علي الجزري بسنده، وسمعت من البرهان بن صديق "الأربعين المخرجة" للحجار بحضوره عليه، وأجاز بها ابن الذهبي، وابن قوام، وغيرهما، وأخذ عنها النجم بن فهد وغيره من العلماء(٥٠). وكمالية ابنة محمد بن أحمد بن قاسم

---

(٤٣) النجم بن فهد، معجم ابن فهد، ورقة ٦٤ ب.

(٤٤) النجم بن فهد، الدر الكمين، ورقة ١٩٩ب.

(٤٥) المصدر السابق، ورقة ١٩٩ب، عمر كحالة، أعلام النساء، ص ٢٦١.

(٤٦) النجم بن فهد، معجم ابن فهد، ص ٣٠٦.

(٤٧) المصدر السابق، ص ٣٠٦.

(٤٨) النجم بن فهد، الدر الكمين، ورقة ٢٠٦ ب، ورقة ٢٠٧ أ، السخاوي، محمد عبدالرحمن (شمس الدين)، التبر المسبوك في ذيل السلوك، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ص ١٢٩.

(٤٩) نسبة إلى أبي مسهر عبدالأعلى بن مسهر بن عبدالأعلى الغساني الدمشقي شيخها ومحدثها روى عن مالك، وغيره، وكان إمام أهل الشام ومرجعهم في الجرح والتعديل، توفي سنة ٢١٨هـ/ ٨٣٣م. الذهبي، محمد أحمد عثمان، تذكرة الحفاظ، بيروت، دار إحياء التراث، ١٤٠١هـ، ج١، ص٣٨١، السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، طبقات الحفاظ، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ، ص ١٦٦ - ١٦٧.

(٥٠) النجم بن فهد، الدر الكمين، ورقة ٢٠٦ب، ورقة ٢٠٧ أ، السخاوي، التبر المسبوك، ص١٢٩.

العمري الحرازي (٧٥٧ - ٨٤٩ هـ/ ١٣٥٧ - ١٤٤٤م)(٥١) والدة قاضي مكة وفقيهها أبي السعادات بن ظهيرة، فقد سمعت من عمتها فاطمة بعض "المصابيح" للبغوي(٥٢)، وأجيزت وأجازت لكثير من العلماء، ومن أبرزهم الشهاب أحمد علي الحنفي، وعلي بن عيسى المصري، وإبراهيم بن عبدالرحمن بن جماعة، وفاطمة ابنة أحمد بن ظهيرة، وعبدالوهاب القروي، وكانت مميزة لها فاعلية في المجتمع المكي، مشهورة بالتزامها، ذات عفة ودين(٥٣)، وكذلك مؤنسة خاتون المدعوة فاطمة ابنة محمد بن علي بن محمد بن هبيرة بن الحسن بن يوسف (ت ٨٥١هـ/ ١٤٤٧م)(٥٤)، ابنة المحدث المسند شمس الدين أبي عبدالله القرشي البكري المكي المعروف بابن سكر من نسل أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فقد سمعت الكثير من والدها والنشاوري، وابن صديق، وأجاز لها البرهان القيراطي، والحافظ الزين بن رجب، وأبو هريرة الذهبي، وآخرون(٥٥)، ونستشهد بنص تاريخي من ابن فهد يؤكد عمق معرفتها، واتساع محيط علمها يقول: "سمعت مجلساً من أمالي أبي الحسن، وجزء أيوب السختياني، وفوائد ابن ماسي، والمسلسل بالأولية، والأربعين المخرجة، وثلاثيات البخاري، وحدثت وكانت خيرة مباركة"(٥٦).

وكمالية ابنة العفيف عبدالله بن محمد بن علي العجمي المكي (ت٨٩٨هـ/ ١٤٩٢م)(٥٧)، خالة العز بن فهد وإخوته، أجاز لها الكثير

---

(٥١) السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص١٢٠، التبر المسبوك، ص ١٣٠.

(٥٢) هو أبو القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز بن المرزبان البغوي الأصل البغدادي، صنف "معجم الصحابة"، و"الجعديات"، توفي سنة (٣١٧هـ/ ٩٢٩م)، الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٢، ص٧٣٧، السيوطي، طبقات الحفاظ، ص ٣١٥.

(٥٣) السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص١٢٠، التبر المسبوك، ص ١٣٠، ابن فهد، معجم الشيوخ، ص٣٢٧.

(٥٤) السخاوي، التبر المسبوك، ص١٩٨.

(٥٥) المصدر السابق، ص ١٩٨.

(٥٦) ابن فهد، معجم الشيوخ، ص ٣٢٤.

(٥٧) السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص١٢٠.

من العلماء، وكانت مشهورة بمعرفتها في الكتابة، كما كانت معروفة ببرها وصدقاتها على الفقراء(٥٨).

وهكذا فإن الإجازات العلمية قد ساعدت على تطور ونمو الحركة المعرفية والعلمية في مكة، فانتشرت المؤلفات، وتبودلت الرسائل والمكاتبات، وكانت من أهم الأسباب في انتشار الكتب والمؤلفات على ساحة العالم الإسلامي عامة، وساحة مكة المكرمة خاصة، وعلى الرغم من شمولية بعض الإجازات وكثافتها فإن الإجازة كانت من أهم عوامل التبادل الثقافي بين مدن الحجاز، وكانت طريقة من طرائق رواية وتدريس مؤلف في غياب المعرفة المكتوبة.

كما كانت هناك مراسلات علمية بين نساء بلدان الحجاز وغيرها من البلدان، مثل: بديعة ابنة السيد نور الدين أحمد الإيجي (المولودة سنة ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)(٥٩)، والتي كانت بينها وبين السخاوي مراسلات علمية عدة(٦٠).

وأسهمت المرأة في التأليف مثل: خاتون بنت محمد بن علي بن عبدالله الحطيني الأصبهاني(٦١)، التي ألفت كتباً عدة منها: كتابها "الموسوم المرموز من الكنوز"، في خمسة مجلدات، وقد ذكرها المحب الطبري في المشيخة التي خرجها للسلطان الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن، كما ذكرها ابن مسدي في معجمه(٦٢)، كما ألفت أم الهدى عائشة ابنة الخطيب الطبرية كتاباً في التاريخ يختص بأسرة الطبري(٦٣).

---

(٥٨) المصدر السابق، ج١٢، ص١٢٠.

(٥٩) السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص١٣.

(٦٠) المصدر السابق، ج١٢، ص١٣.

(٦١) الفاسي، العقد الثمين، ج٨، ص ٢٠٢.

(٦٢) المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٠٢.

(٦٣) السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، عني بنشره حسام الدين القدسي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ١٠٨ - ١٠٩.

وبلغ من علمهن في الحديث أن يتبحرن فيه، وبلغن منزلة عالية، ولقد أخرج لهن النجم بن فهد كتاباً جمع فيه مشايخهن في الحديث، مثل: أم المساكين زينب ابنة عفيف الدين أبي محمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان بن فلاح اليافعي المكي (ت ٨٤٦هـ/ ١٤٤٢م)(٦٤)، التي أجاز لها كثير من العلماء، من أبرزهم ابن أميلة والصلاح بن عمر وحسن الهبل، وأجاز لها جمع من علماء القاهرة ودمشق، وحدثت وسمع منها الكثير من العلماء(٦٥).

وسارة ابنة عمر بن عبدالعزيز بن جماعة الكناني (ت٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)(٦٦)، التي أخرج لها النجم بن فهد كذلك كتاباً(٦٧)، جمع فيه شيوخاً بالسماع والإجازة(٦٨).

ولم يقتصر دور المرأة على انخراطها في العلوم الشرعية فقط إضافة إلى معرفتها بالعلم، فقد شاركن في التطبيب، مثل: الشيخة فائدة (ت ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م)(٦٩)، التي كانت تعمل قابلة للنساء(٧٠)، وأم الخير ابنة أحمد بن محمد المطري المكية الشهيرة بالمطرية، وتسمى سعيدة (ت٨٦١هـ/ ١٤٥٦م)(٧١)، التي عملت مولدة للطبقة الراقية من المجتمع المكي، وهي التي أجيزت من كثير من علماء مكة، ومن أبرزهم العراقي، والهيثمي، وابن صديق، والزين المراغي، كما أجازت للسخاوي وغيره(٧٢).

---

(٦٤) النجم بن فهد، معجم الشيوخ، ص ٣١٥ - ٣١٦، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص٤٣، التبر المسبوك، ص ٥١.

(٦٥) النجم بن فهد، معجم الشيوخ، ص ٣١٥ - ٣١٦، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص٤٣، كحالة، أعلام النساء، ج٢، ص ٧٣.

(٦٦) النجم بن فهد، معجم الشيوخ، ص ٣١٨ - ٣١٩، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ٥٢.

(٦٧) هو "تراجم لمشايخ شيختنا سارة بنت العز بن جماعة".

(٦٨) النجم بن فهد، معجم الشيوخ، ص ٣١٩، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص٥٢.

(٦٩) السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص١١٤.

(٧٠) السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص١١٤.

(٧١) النجم بن فهد، معجم ابن فهد، ص ٣٠٤.

(٧٢) المصدر السابق، ص ٣٠٤، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ١٤٤.

ولعل دور المرأة العلمي يظهر لنا من خلال العلماء المحدثين الكبار في الحرمين الشريفين، حيث إن كثيراً منهم أخذ عن نساء الحرمين؛ مما يدل على علو شأنهن خاصة أسرة ابن فهد(٧٣).

كانت الرحلة في طلب العلم تقليدًا درج عليه المكيون، وأصبحت لازمة من لوازم التحصيل العلمي، وقد كان السلف لا يعدون طالب العلم رشيداً إذا هو اقتصر على طلبه في بلده فقط(٧٤)، وأصبحت الرحلات العلمية والمعرفية سمة من السمات وركناً أساسياً من أركان الحياة العلمية في ذلك العصر، وطلبة العلم ينتقلون من الحجاز إلى مصر والشام والعراق وشيراز وبلاد المغرب واليمن؛ لأخذ العلم، ولقاء العلماء، وحيثما حلوا واستفادوا وأقبلوا على التدريس والتأليف والإفتاء، وإمعان النظر والفكر في كتب التراجم والمعاجم(٧٥).

فعرف عن المرأة المكية الرحلة في طلب العلم، فقد كانت هناك مساحة واسعة في تمتعها بالحرية، فإذا أكملت تعليمها في بلدها ووجدت أن الظروف مهيأة لها لتلقي العلم خارج بلدها سارعت إلى شد الرحال بصحبة ذي محرم من أب أو أخ أو غيرهما، محاولة التتلمذ على أكبر عدد من العلماء ناشدة الكمال العلمي فتتكبد المشاق في هذا السبيل؛ فقد رحلت أم هانئ زينب بنت فهد إلى بلاد الشام، وأجازت عددًا من العلماء(٧٦)، وكذلك أم ريم تقية ابنة تقي الدين بن محمد بن فهد التي رحلت لطلب العلم إلى عدد من المدن الإسلامية صحبة شقيقها العز بن فهد في بداية القرن العاشر الهجري(٧٧)، وإذا كانت المرأة المكية قد حرصت على أخذ العلم فقد

---

(٧٣) جار الله بن فهد، المصدر السابق، ص ١٨.

(٧٤) ابن الصلاح، أبو عمرو عثمان بن عبدالرحمن الشهرزوري، علوم الحديث، مقدمة ابن الصلاح، تحقيق نور الدين عنتر، المدينة المنورة، المكتبة العلمية، ١٩٧٢م، ص ٢٢٣.

(٧٥) جار الله بن فهد، نيل المنى، ص ١٧، ٣٨، ٤٦، ٩٨، ١٢٦.

(٧٦) النجم بن فهد، الدر الكمين، ورقة ٢٣١ أ، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ١٥٩.

(٧٧) العز بن فهد، بلوغ القرى، ورقة ١٨٨ب، جار الله بن فهد، نيل المنى، ص٢٦٧.

جندت نفسها على نشر ما تعلمته، وكان الأقربون لها رجالاً ونساءً هم أول من يستفيد من علمها، ثم هي لا تبخل بعلمها على طلبة العلم، فتمارس التعليم بمختلف الوسائل التي لا تتعارض والتزامها بأوامر دينها؛ فتدرس خلف الستر، وتجيز من أخذ عنها، وقد تجيب كتابة عما تسأل عنه، وهكذا فقد شاركت المرأة المكية في الحياة العلمية، فتعلمت ما تحتاج إليه في حياتها، بل واستزادت من العلم، ونشرت ما تعلمته بين بنات جنسها، كما نالت المرأة حظها في مجال الإبداع الأدبي.

وخير مثال على مكانتهن العلمية وإجازتهن العلماء ما رواه لنا جار الله بن فهد أنه درس الحديث وبرع فيه على يدي راويات، وامتدح شيخاته في الحديث، وأبرزهن أم سلمة بنت محمد الطبرية المكية (ت ٩١٣هـ/ ١٥٠٧م)(٧٨)، وفاطمة بنت الكمال بن سيرين (ت٩٤١هـ/ ١٥٣٤م)(٧٩).

أسرة بني فهد:

تنتمي هذه الأسرة إلى محمد ابن الحنفية نجل الإمام علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهي أسرة ثابتة الأركان قوية الدعائم، واشتهرت أسرة بني فهد بالاهتمام بعلم الحديث الشريف، وعلم التاريخ والتراجم، وخلفوا لنا تراثاً إسلامياً ضخماً في شتى النواحي، وكانت أسرة تتمتع بمكانة علمية رفيعة المستوى، فيذكر عبدالحي الكتاني في كتابه فهرس الفهارس "... وإذا تأملت في بطون الكتب قل أن تجد بيتاً من بيوت المسلمين فيه خمسة من الحفاظ في سلسلة واحدة من بيت واحد يتوارثون الحفظ والإسناد غير هذا البيت العظيم"(٨٠).

---

(٧٨) جار الله بن فهد، نيل المنى، ص٢٢.

(٧٩) المصدر السابق، ص ٤١٩.

(٨٠) عبدالحي الكتاني، فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المفاهم والمشيخات والمسلسلات، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٦هـ، ج ٢، ص ٩١٠، ابن العماد، عبدالحي الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٢، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٥هـ، ص٢٥٣، الزركلي، خير الدين، الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٠م، ج٧، ص٣٣٥، ابن تغرى بردي، جمال الدين أبو المحاسن، الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق: فهيم شلتوت، مكة، جامعة أم القرى، ١٤٠٣هـ، ج٦، ص٦٣٦.

ومن أبرز البيوتات المكية بيت بني فهد، وكان لنسائهم نصيب في تنشيط الحركة العلمية، وبروز بعض نساء هذه الأسرة، واللاتي تتمتع الكثيرات منهن بقدر كبير من العلم، ومن هؤلاء النساء: خديجة ابنة عبدالرحمن بن محمد بن فهد الهاشمي زوج التقي محمد بن فهد، ولدت عام (٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م)، أجاز لها ابن التقي حاتم والعفيف النشاوري، سمعت الكثير من الأحاديث عن الشيخ شمس الدين بن الجزري وابن سلامة، وحدثت بمكة المكرمة، وأخذ عنها شمس الدين السخاوي، والمجد اللغوي، ورحلت لطلب العلم إلى القدس والخليل وغزة والرملة ودمشق والقاهرة، ثم استطاعت في فترة وجيزة أن تنهل من العلم والمعرفة من شيوخ عصرها؛ مما جعلهم يعترفون ويشيدون لها بذلك(٨١). كما أخذ عنها ابنها النجم عمر بن فهد المكي، وروى عنها أحاديث عدة، وسمع بها كثير من العلماء، وقرأت عليهم البلدانيات للسلفي، ويصفها لنا في معجمه "وكانت من سروات النساء في زمانها صلاحاً وخيراً وديناً وعفة وصيانة وكرماً وعقلاً وخبرة دمثة الأخلاق كثيرة الصدقة"(٨٢)، توفيت عام (٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م) بمكة المكرمة(٨٣).

ومن نساء بني فهد اللائي حرصن على طلب العلم كمالية ابنة النجم محمد بن فهد الهاشمية المكية أخت تقي الدين بن فهد ولدت عام (٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) بمكة المكرمة، سمعت من الزينين المراغي والطبري وابن سلامة وابن الجزري وأبي اليمن الطبري، وعبدالقادر الأرموي، وأقامت في دمشق من عام (٨٤١هـ/ ١٤٣٨م حتى ٨٥٧هـ/ ١٤٥٢م)، ثم اتجهت إلى القاهرة، وأخذ عنها العلماء بمنطقة الحجاز أو من

---

(٨١) النجم بن فهد، الدر الكمين، ورقة ١٩٣ أ، معجم الشيوخ، ص ٣١٥.

(٨٢) عمر بن فهد، معجم الشيوخ، ص ٣١٢، السخاوي، الضوء اللامع، ج١، ص٣٣٥.

(٨٣) النجم بن فهد، الدر الكمين، ورقة ١٩٨، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ١٢١، كحالة، أعلام النساء، ج١، ص ٣٣٥.

خلال رحلاتها إلى بلاد الشام وفلسطين، ومن أبرز من أجازت لهم شمس الدين السخاوي، توفيت عام (٨٦٦هـ/ ١٤٦١م) بمكة المكرمة(٨٤).

وقد أصبح يشار بالبنان للعالمة الفاضلة التي برزت في شتى العلوم الشرعية، ونافست الرجال على طلب العلم، والترحال إلى البلاد الإسلامية لتلقي العلوم والمعارف من ينابيع المعرفة، وهي ست قريش فاطمة بنت العلامة تقي الدين محمد بن محمد بن فهد الهاشمي ولدت عام ٨١٤هـ/ ١٤١١م بمكة المكرمة(٨٥)، كانت عالمة جليلة أجاز لها جمع غفير من العلماء والشيوخ، أخذت عن علماء مكة المكرمة في سنواتها الأولى المبكرة حيث سمعت من القاضي أبي بكر بن الحسين المراغي، والقاضي جمال الدين بن ظهيرة "سنن الدار قطني"(٨٦)، وقد أجاز لها بعض العلماء من الحرمين وبيت المقدس والخليل ودمشق وحماة وحلب وحمص وبعلبك وطرابلس وغزة والرملة والإسكندرية، ومنهم العالمة عائشة بنت عبدالهادي وعبدالقادر الأرموي، وشرف الدين الكويك وشمس الدين الزراتيتي وابن الهبستي، وتوفيت في مكة المكرمة عام (٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م)(٨٧).

وأثبتت أم كلثوم عائشة بنت عطية محمد بن أبي الخير محمد بن فهد الهاشمي (٨٣٣ - ٨٩٩هـ/ ١٤٣٠ - ١٤٩٤م) أنها قادرة كالرجال في قوة العزيمة وقوة العلم والمعرفة، فقد حضرت مجالس العلماء، وهي في الرابعة من عمرها في حلقة محمد علي الزمزمي، ونبغت في العلوم الدينية، ويرصد لنا المؤرخ شمس الدين السخاوي من أجاز لها بقوله: "وأجاز لها القبابي، والتدمري، والواسطي، والزركشي،

---

(٨٤) النجم بن فهد، الدر الكمين، ورقة ٢١٩، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ١٢١- ١٢٢.

(٨٥) النجم بن فهد، الدر الكمين، ورقة ١٩٩.

(٨٦) المصدر السابق، ورقة ٢٠، كحالة، أعلام النساء، ج ٢، ص ٧٨.

(٨٧) النجم بن فهد، معجم الشيوخ، ص ٤٠٤ - ٤٠٥، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ١٣٧.

والبدر البوصيري، وابن الطحان، وابن ناظر الصاحبة، والعلاء بن بردس، والبرهان الحلبي، وعائشة الكنانية، والشراعية"(٨٨).

ولابد لنا من أن نرصد سيرة امرأة مضيئة في تاريخ المجتمع المكي، وتعد أحد المقاييس المهمة عن تطور ذلك المجتمع وانفتاحه ونموه، وهي أم هانئ زينب ابنة التقي محمد بن محمد بن محمد بن فهد الهاشمي المكي شقيقة النجم، ولدت بمكة المكرمة عام (٨١٧هـ/ ١٤١٥م)، وحضرت وعمرها عامان مجلس الشريف أحمد الفاسي، وابن سلامة مشيخة الفخر وغيرهما، وسمعت من الشمسين ابن الجزري والكتاني متفرقين جميع مسند الإمام أحمد ومن عبدالرحمن بن طولوبغا المسلسل والمئة الفراوية، وأجاز لها جمع كثير من العلماء من شتى أقطار العالم الإسلامي، وبلغت الإجازات التي حصلت عليها أكثر من خمسين إجازة(٨٩)، وكانت أم هانئ تحدث، وقد أجازت لعدد من العلماء كشمس الدين السخاوي، والعز بن فهد، واستمرت في بث علمها حتى حانت وفاتها بمكة المكرمة عام (٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م)(٩٠).

ومن أبرز نساء بني فهد المميزات أم ريم تقية، ويقال لها: ست الأهل ابنة تقي الدين محمد بن محمد بن محمد بن فهد الهاشمية المكية، ولدت عام (٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م) بمكة المكرمة، ثم رحلت لطلب العلم إلى عدد من المدن الإسلامية صحبة شقيقها ابن فهد، وسمعت من أبيها والشهاب أحمد بن إبراهيم المرشدي جزءًا من الطلابية والبردة، وأجاز لها الزين والزركشي والبدر حسين البوصيري، وابن ناظر الصاحبة وابن الطحان والعلاء بن بردس والبرهان الحلبي والقبابي والتدمري، وحانت منيتها عام (٨٩١هـ/ ١٤٨٦م)(٩١).

---

(٨٨) السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص ١٥٠.

(٨٩) ابن فهد، معجم الشيوخ، ص ٣٩٩ - ٤٠٠.

(٩٠) ابن فهد، الدر الكمين، ورقة ٢٢٠، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص١٥٩.

(٩١) ابن فهد، المصدر السابق، ورقة ٢٠٧، السخاوي، المصدر السابق، الجزء نفسه، ص ١٤٦ - ١٤٧.

كما امتازت هدية بنت محمد أبي الخير محمد بن فهد المولودة بمكة عام (٨٠١ هـ) بالنبوغ؛ حيث التحقت مع والدها في حلقات العلم وهي في سن الرابعة، فلقد حضرت على ابن صديق، وسمعت من الشريف عبدالرحمن الفاسي والجمال بن ظهيرة وابن سلامة(٩٢).

وتعد ابنتا عطية بن محمد بن أبي الخير محمد الكبرى ست الجميع رحمة (٨٣١ - ٨٧١هـ/ ١٤٢٨ - ١٤٦٦م)، والصغرى مريم (٨٣٨ - ٨٧٥هـ/ ١٤٣٤ - ١٤٧٠م)، من المثابرات على تحصيل العلم والسعي الحثيث، فلقد التحقتا بحلقات العلم في سن مبكرة، وأجاز لهما كثير من العلماء والبرهان والواسطي والحلبي والتدمري(٩٣).

كما أننا لا ننسى شعثاء ابنة التقي محمد بن محمد بن أبي الخير محمد بن محمد (٨٦٣ - ٨٩٣هـ/ ١٤٥٨ - ١٤٨٨م) التي سمعت في مرحلة مبكرة من أبيها، وأجاز لها كما أجاز لها جماعة من العلماء، واشتهرت بعفتها وصدقاتها ومروءتها؛ مما جعلها أن تكون الأثيرة لدى المجتمع المكي، ويتضح ذلك عندما حانت وفاتها، فاجتمع عدد كبير لجنازتها(٩٤).

ونختتم نساء أسرة آل فهد بعالمة ترجم لها مؤرخ مكة التقي الفاسي في ثنايا معجمه العقد الثمين مسطراً عنها أنها عائشة ابنة الوجيه عبدالرحمن بن أبي الخير محمد بن محمد بن فهد (٧٩٣ - ٨٢٢هـ/ ١٣٩١ - ١٤١٩م) قائلاً: "وسمعت بها من ابن سلامة، وأجاز لها زين الدين العرقي، ونور الدين الهيثمي، والبرهان بن صديق، والشهاب بن أحمد بن عمر الجوهري، ومحمد بن حسن الفرسيسي والقطب"(٩٥).

---

(٩٢) السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ١٣٢.

(٩٣) المصدر السابق، ج١٢، ص ٥٤، ١٢١ - ١٢٢.

(٩٤) المصدر السابق، ج١٢، ص ٦٧.

(٩٥) الفاسي، العقد الثمين، ج٨، ص ٢٦٩، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص٧٦.

أسرة الطبري(٩٦):

ولم يقتصر البحث عن العلم والمعرفة على نساء أسرة آل فهد فحسب، بل نافسهم بيت من أعظم البيوت في المجتمع المكي، فأغلب أفراده علماء ومشايخ تولوا مناصب علمية في الأمور الشرعية خاصة في مجال القضاء والتدريس، وتعد من أكبر الأسر العريقة المشهورة بالعلم والمعرفة، جاورت في مكة المكرمة منذ القرن الخامس الهجري، واختلف المؤرخون في نسبهم، وأكد الفاسي أنهم ينتسبون إلى عمرو بن العلاء، فهم شيبانيون(٩٧). وسأتعرض في ثنايا البحث لعدد من النساء السامقات في مجال العلوم الشرعية، وتعد أم سلمة ابنة المحب محمد بن الرضي محمد الحسينية المكية من ألمع النساء المتبحرات في شتى العلوم المعرفية ويعدها جار الله بن فهد من أميز شيوخه، مما رصد لها أكثر من مكان في ثنايا كتابه، كما أسهمت في إثراء الحركة العلمية لدى النساء في المجتمع المكي، واستمرت بكثافة بعطائها المعرفي حتى لاقت ربها في عام (٩١٣هـ/ ١٥٠٧م)(٩٨)، كما تميزت إحدى نساء البيت الطبري بإجازتها لعدد من أبرز علماء العالم الإسلامي في تلك الفترة، وهي آسية ابنة جار الله بن صالح بن أبي منصور أحمد الطبري المولودة بمكة عام (٧٩٦هـ/ ١٣٩٤م)، واشتهرت بعلم الحديث بعد حصولها على كثير من الإجازات من علماء وشيوخ الحرمين، فأجازها بدر الدين بن أبي البقاء السبكي، والكمال الدميري، والعراقي، والهيثمي، وأحمد بن أبي البدر الجوهري، والبرهان بن صديق، وأبو بكر بن الحسين المراغي، وأبو اليمن الطبري، وعائشة بنت محمد بن عبدالهادي، وأبو الطيب السمولي،

---

(٩٦) نسبة إلى طبرستان من بلاد خراسان، وهي منطقة مترامية وواسعة، تمتاز بتضاريسها القاسية، فهي عظيمة الجبال والحصون، انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص١٣، الحميري، الروض العطار، ص ٣٨٣.

(٩٧) الفاسي، العقد، ج٤، ص ٢٠٠.

(٩٨) جار الله بن فهد، نيل المنى، ص ٣٨.

ومحمد بن حسن الفرسيسي، وعلاء الدين الجزري، وقد توفيت في مسقط رأسها مكة عام (٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م)(٩٩).

وزينب ابنة الرضي أبي السعادات محمد المحب (٧٩٤ - ٨٦٢هـ/ ١٣٩٢ - ١٤٥٧م) سمعت من أبيها "خماسيات ابن المنقور"(١٠٠)، وحدثت عنه، وأجاز لها زين الدين العراقي، والبرهان الشامي، والتنوخي، والبلقيني، والسويداوي، والحلاوي، وعبدالله الحرستاني، والبلقيني، وابن الملقن، والهيثمي، وأجازت كذلك لشمس الدين السخاوي(١٠١)، وكان للأختين أم الحسن (ت ٨١٥هـ/ ١٤١٢م) وأم الحسين سعدية (٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م) ابنتي المحب محمد بن الشهاب أحمد الطبري جهود لا بأس بها في الحديث(١٠٢)، فقد حدثتا بالحديث المسلسل بالأولية(١٠٣)، وتساعيات(١٠٤) الرضي، سمع ذلك منهما محمد بن علي بن محمد الصالحي المكي(١٠٥)، وأجاز لها

---

(٩٩) ابن فهد، معجم الشيوخ، ص ٣٠٣، الدر الكمين، ورقة ٢٠٦، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص٢.

(١٠٠) خماسيات ابن المنقور، وهو أحمد بن محمد بن منقور البغدادي المتوفى سنة ٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م، أفرد خماسياته من الدار قطني. الكتاني، محمد بن جعفر، الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، بيروت، دار الكتاب العلمية، ١٤٠٠م، ص٧٤.

(١٠١) الفاسي، العقد الثمين، ج٨، ص٢٤٣.

(١٠٢) السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ١٣٧، ١٥٠، النجم بن فهد، معجم الشيوخ، ص ٣١٧.

(١٠٣) المسلسل بالأولية هو حديث: "الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء"، وسمي بالأولية؛ لأن كل راو يقول فيه: "حدثني فلان وهو أول حديث سمعته منه". انظر ابن حجر: المجمع المؤسَّس، تحقيق، يوسف المرعشلي، بيروت، دار المعرفة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ج١، ص٨٦ -٨٧/ الأيوبي، المناهل السلسلة في الأحاديث المسلسلة بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م، ص٦.

(١٠٤) حينما نقرأ: حدّث بالسباعيات والثمانيات والتساعيات، يعني في سندها سبعة رواة، وثمانية رواة، وتسعة رواة. حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، نشر محمد شرف الدين، إسطنبول، ١٩٤٣م، ج١، ص ٥٢٢ - ٥٢٣.

(١٠٥) الفاسي، العقد الثمين، ج٨، ص ٢٤٠.

النشاوري، والجمالي الأسيوطي، والكمال بن حبيب، والبلقيني، وابن الملقن، والعراقي، والهيثمي، وكانتا خيّرتين(١٠٦). وعلماء بنت أبي اليمن محمد بن أحمد الطبري (٧٧٤ - ٨٢٦هـ/ ١٣٧٤ - ١٤٢٣م)(١٠٧)، التي سمعت على عمتيها الفاطميتين أم الحسن وأم الحسين، وأجيزت من النشاوري، وابن حاتم، وآخرين، واشتهرت بحبها لفعل الخير، وروى عنها النجم بن فهد(١٠٨)، وأختها فاطمة المدعوة مباركة (ت ٨٣٦هـ/ ١٤٣٢م)(١٠٩)، التي سمعت وأجيزت كأختها، وحدثت ببعض مروياتها، وسمع منها التقي بن فهد وبنوه(١١٠)، وأم كلثوم ابنة المحب محمد بن أحمد الرضي، وتسمى سعيدة (ت ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م)(١١١)، وسمعت من الكمال بن حبيب وأجازها في سنة (٧٧١هـ/ ١٣٦٩م)، جماعة من العلماء، منهم البلقيني، وابن الملقن، والعراقي، والهيثمي، وآخرون، وكانت دينة خيرة كاتبة قارئة حفظت الأربعين النووية(١١٢)، وعرضتها بكاملها على جماعة كأبيها، وعم والدتها علي بن أحمد النويري، وخالها المحب النويري(١١٣).

---

(١٠٦) النجم بن فهد، معجم الشيوخ، ص ٢٤٨.

(١٠٧) الفاسي، العقد الثمين، ج٨، ص ٢٨٠ - ٢٨١، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص٨٤، أبو الخير، المختصر من كتاب نشر النور والزهر، ص ٣٤٢.

(١٠٨) السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص٨٤.

(١٠٩) النجم بن فهد، الدر الكمين، ورقة ٢١٤ أ، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص٩٩.

(١١٠) السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ٩٩.

(١١١) المصدر السابق، ج١٢، ص١٥١.

(١١٢) هو الإمام الفقيه الحافظ محيي الدين أبو زكريا بن شرف بن مري الحزامي الحوراني، ولد سنة ٦٣١هـ/ ١٢٣٣م، وصنف مؤلفات عدة في الحديث والفقه منها: "الروضة"، "شرح المهذب"، "المنهاج"، "التحقيق"، "رياض الصالحين"، "تهذيب الأسماء واللغات" وغير ذلك، توفي سنة ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م. الذهبي "تذكرة الحفاظ" ج٤، ص ١٤٧٠، ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق: أحمد أبو ملحم، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ، ج١٣، ص ٢٩٤، السيوطي، طبقات الحفاظ، ص ٥١٣.

(١١٣) السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ١٥١.

وزينب بنت عبدالله بن الزين أحمد (ت ٨٣٨هـ/ ١٤٣٤م)(١١٤)، سمعت من الكمال بن حبيب، وأجاز لها الهيل والصلاح والسويداوي وابن أميلة وآخرون، وأجازت النجم بن فهد وغيره(١١٥).

كما عرفت خديجة ابنة الشهاب أحمد بن النجم محمد الطبري (٧٤٠ - ٨١٤هـ/ ١٣٤٠ - ١٤١١م) التي جاورت بالمدنية بعد ترحالها في طلب العلم، وأجاز لها مجموعة من العلماء، كانت خيرة مرئية ذات مروءة(١١٦).

كما انتهجت طريقتها نفسها خديجة المسماة علا ابنة المحب محمد بن الرضي محمد الطبري (٨٤٩ - ٩٣٨هـ/ ١٤٤٤ - ١٥٣١م) أجاز لها الشرف المراغي والزين والأميوطي وأبو جعفر بن العجمي(١١٧).

ولا ننسى خديجة المدعوة توفيق ابنة الزين محمد بن الزين أحمد الطبري التي نهلت العلم منذ صغرها في بيت أسرتها، وعلى يد والدها العالم الجليل، وسمعت أيضاً من الكمال بن حبيب، وأجاز لها كثير من العلماء في الحرمين الشريفين، وكانت حريصة على بث ما تعلمته من علوم ومعرفة حتى وافتها المنية (٨٢٠هـ/ ١٤١٧م) بمكة المكرمة(١١٨).

ومن أسرة الطبري كذلك ست الكل: زينب بنت الرضي محمد بن المحب محمد (ت ٨٦٢هـ/ ١٤٥٧م)(١١٩)، أجاز لها ابن الصديق والمراغي والعراقي والهيثمي وعائشة ابنة عبدالهادي اقتصر نشاطها

---

(١١٤) النجم بن فهد، الدر الكمين، ورقة ٢٠٥ أ، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ٤٣.

(١١٥) النجم بن فهد، الدر الكمين، ورقة ٢٠٥ أ.

(١١٦) عمر بن فهد، معجم الشيوخ ص ٣١٧.

(١١٧) الفاسي، العقد الثمين، ج٨، ص ٢٠٤، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ٢٥.

(١١٨) السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص٢٦.

(١١٩) الفاسي، العقد الثمين، ج ١٢، ص ٢٠٥، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢.

أيضاً على الإجازة، فقد أجازت للسخاوي، والنجم بن فهد وغيرهما(١٢٠).

واشتهرت أم كمال وتدعى عائشة ابنة المحب محمد بن شهاب أحمد الطبري (٨٤٧ - ٨٨٧هـ/ ١٤٤٢ - ١٤٨٢م) بعطفها على الفقراء والمساكين، والتصدق عليهم، وتعليمهم، فقد صقلتها العلوم المعرفية لحب الخير، وأجاز لها أبو الفتح المراغي، والزين الأميوطي، وأبو جعفر العجمي(١٢١)، وأشاد المؤرخ السخاوي بعالمة من نساء الطبري، وهي رئيسة ابنة المحب محمد بن الرضي الطبري (٨٤٢هـ/ ١٤٣٩م) في اشتغالها بعلم الحديث، وبراعتها فيه تعلماً وتعليماً، وسعة علمها، ولقد أجاز لها أبو الفتح المراغي، والزين، والأميوطي، وأبو جعفر، وكثير من علماء ومشايخ الحرمين(١٢٢).

أسرة القسطلاني(١٢٣):

كما شهد المجتمع المكي في الفترة المضيئة معرفياً أسرة القسطلاني، وتنسب إلى الحسن بن عبدالله بن أحمد بن ميمون بن راشد القبسي القسطلاني وذريته توالت إلى ما بعد العصر المملوكي، وقد بلغت هذه الأسرة شأواً عظيماً(١٢٤)، وبنت لبنة في العمارة المعرفية من قبل النساء فقد أسهمت أسرة القسطلاني في هذا البناء العلمي، ومن أشهرهن:

---

(١٢٠) النجم بن فهد، معجم الشيوخ، ص ٣١٧، الدر الكمين، الضوء اللامع، ج١٢، ص ٥٨، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ٧٠.

(١٢١) النجم بن فهد، معجم الشيوخ، ص ٣١٧، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ٥٨.

(١٢٢) السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ١٥٢.

(١٢٣) القسطلاني، نسبة إلى قسطيلية - بفتح القاف وسكون السين - وهي مدينة بالأندلس كثيرة الأشجار تتخللها الأنهار. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ٣٤٨، الحميري، الروض المعطار، ص ٤٨٠.

(١٢٤) الفاسي، العقد الثمين، ج٨، ص ٢٣٠، الصفدي، صلاح الدين، الوافي بالوفيات، ط٢، ١٩٧٤م، ج٤، ص ٢٦١.

ست الكل بنت أحمد بن محمد بن الزين بن محمد القطب، وتعرف ببنت رحمة (ت ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م)(١٢٥)، سمع منها التقي الفاسي(١٢٦) وأجاز لها جماعة من علماء الشام ومصر كيحيى بن يوسف المصري، ومحمد الرمياطي، وأحمد المشتولي، وزينت ابنة الكمال، وأبو نعيم الأسفرديري، والقاضي شمس الدين بن العجاج، وعائشة بنت عمر الصنهاجي، ومن دمشق أبو بكر المرضي، وزينب بنت الكمال، وسمع منها المقريزي(١٢٧)، وحدثت بسداسيات الرازي(١٢٨).

ومما يلفت الانتباه، ويثير الإعجاب حول هذه الأسرة المتوهجة علمياً وثقافياً أن أنجبت عائلة من أسرة القسطلاني كوكبة من الأخوات تنافسن على طلب العلم، والحرص الدقيق، والاهتمام المكثف بالتواجد في حلقات العلماء، وطلب الإجازات العلمية من علماء ومشايخ العالم الإسلامي؛ مما جعل مؤرخي مكة في القرنين التاسع والعاشر الهجريين أن يترجموا لهن، ويشيدوا بعلمهن، وحرصهن على العلوم الشرعية لإنارة المجتمع النسائي المكي، وسأختصر تراجمهن بشكل موجز غير مخل.

أنجبت عائلة من أسرة القسطلاني كوكبة من الأخـوات تنافسن على طلب العلم

هدية، وتسمى أيضاً أم الهدى ابنة العفيف عبدالله بن أحمد بن حسن الزين المكي (ت ٨٤٦هـ/ ١٤٢٢م) بلغت درجة عالية في مجال

---

(١٢٥) الفاسي، العقد الثمين، ج٨، ص ٢٤٤، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٢٢٧، السخاوي، الضوء اللامع، ج ١٢، ص ٥٧.

(١٢٦) الفاسي، العقد الثمين، ج ٨، ص ٢٤٤.

(١٢٧) الفاسي، العقد الثمين، ج٨، ص ٢٤٤، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ٥٨، ابن حجر، أحمد شهاب الدين، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، بيروت، دار الجيل، ج٣، ص ٢٢٧.

(١٢٨) سداسيات الرازي: لمسند الديار المصرية أبي عبدالله محمد بن أحمد بن إبراهيم الرازي المتوفى سنة ٥٢٥هـ/ ١١٣٠م، الكتاني، الرسالة المستطرفة، ص ٧٤.

العلوم الدينية خاصة في مجال الحديث، أجاز لها كثير من علماء الحرمين والشام ومصر، ومن أبرزهم: إبراهيم بن محمد، وعمر البالسي، وفاطمة ابنة المنجا، كما أجاز لها المؤرخ شمس الدين السخاوي، وقد اشتهرت بتواضعها ونقاها حتى وصفت بأنها امرأة مباركة(١٢٩).

كما برزت أختها كمالية محدثة وعالمة من النساء المكيات، ففي عام (٨١٤هـ/ ١٤١١م) أجاز لها المراغي والسويفي والجمال الحنبلي والعز بن جماعة وابن الكويك(١٣٠).

كما عرف من هذه الأسرة أم كمال الأخت الثالثة المولودة بمكة عام (٨١٢هـ/ ١٤٠٩م)، وسمعت العلم من صغرها من العالم زين الدين العراقي، وحصلت على إجازة من الشيخ المحدث جماعة(١٣١)، وواصلت تعليمها، وبث علمها للمجتمع المكي حتى فارقت الروح جسدها عام (٨٦٧هـ/ ١٥٦٠م)(١٣٢).

كما برزت من بنات العفيف عبدالله ابنتاه ست الأهل المولودة بمكة عام (٨١٤هـ/ ١٤١١م)، وأم الحسين الأخت الكبرى التي أرخ لوفاتها بمكة عام (٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م)، وقد أجاز العلماء والمشايخ في مكة المكرمة للأختين، ومن أبرزهم الزين المراغي، وابن الكويك، وعائشة بنت عبدالهادي، وجماعة من العلماء(١٣٣).

ولم يقتصر العلم على هذه العائلة من أسرة القسطلاني، فمن هذه الأسرة اعتلت منصة العلم والحديث خديجة ابنة أبي عبدالله بن

---

(١٢٩) النجم بن فهد، معجم الشيوخ، ص ٣٣٠، الدر الكمين، ورقة ٢٣٢، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص٣٠.

(١٣٠) السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص١١٩.

(١٣١) جماعة: عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم الكناني قاضي القضاة بمصر، كان حسن المحاضرة كثير الأدب محباً لأهل العلم. للمزيد انظر: الفاسي، العقد، ج٥، ص ٢٣١.

(١٣٢) النجم بن فهد، معجم الشيوخ، ص ٣١٢، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص١٥٣.

(١٣٣) السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ٥٣، ١٤٠.

محمد بن حسن، أجاز لها كثير من العلماء كالنشاوري، وعزيز الدين المليجي، وعبدالواحد الصروي، والتقي ابن حاتم، وابن الشيخة، والأميوطي، وابن عرفة، وأحمد الماكسيني، كما أنها أجازت لمؤرخ مكة النجم بن فهد، واستمرت في العطاء العلمي حتى حانت منيتها عام (٨٤٦هـ/ ١٤٤٢م)(١٣٤).

ونختم نساء الأسرة القسطلانية بالفاطمتين: الأولى فاطمة ابنة محمد أحمد حسن تكنى أمّ الأمان (٧٩٩ - ٨٣٢هـ/ ١٣٩٧ - ١٤٢٩م) التي أجاز لها جمع من العلماء والمشايخ، فأجاز لها عمر البالسني، وابن قوام وعبدالله خليل الحرستاني، وفاطمة ابنة ابن المنجا، وفاطمة بنت عبدالهادي، والزين المراغي(١٣٥)، وأما الأخرى فهي فاطمة ابنة أبي الخير محمد بن حسين، وأجاز لها سلان الذهبي، وابن حاتم، وبرعت في علم الحديث(١٣٦).

أسرة الفاسي:

كما نافست بروح عالية وثابة أسرة من أعرق الأسر المكية في إنشاء النسيج المعرفي والعلمي لمجتمع مكة المقدسة، وهي أسرة الفاسي، وينتهي نسبها إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، وأول من نزل منها مكة محمد بن محمد بن عبدالرحمن (ت ٧١٩هـ/ ١٣١٩م)، ومن أبرز علمائها مؤرخ مكة التقي محمد الفاسي، والواقع أن لهذه الأسرة دورًا كبيرًا في إبراز الحياة العلمية خاصة في علوم الحديث والفقه والتاريخ، وهي أسرة أسهمت في تنوير وتعليم الفتيات المكيات(١٣٧)،

---

(١٣٤) النجم بن فهد، معجم الشيوخ، ص ٣١٣، الدر الكمين، ورقة ٢٠١، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص٣٠، ج٤، ص٤٥٧.

(١٣٥) السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ١٠٠.

(١٣٦) المصدر السابق، ج ١٢، ص١٠٢.

(١٣٧) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج٣، ص٥٩٥، الفاسي، تقي الدين محمد، ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، تحقيق: محمد صالح، مكة، مركز البحث العلمي، ١٤٠٠هـ، ج١، ص١٠٠.

ومن أشهرهن وأميزهن أم الهدى زينب ابنة أبي الفتح محمد بن أحمد بن أبي عبدالله محمد الحسني الفاسي، ولدت بمكة، وترعرعت في بيت علم ودين(١٣٨)، واستقت العلوم من أسرتها، ثم نهلت العلوم الشرعية من علماء ومشايخ زمانها حتى فاقت أقرانها، وأجاز لها كثير من علماء ومشايخ القرن التاسع من شتى أقطار العالم الإسلامي، فأجازها والدها، والنشاوري، والصردي، وابن حاتم، والتنوخي، وابن أبي المجد، وابن الذهبي، وابن العلائي، وفاطمة ابنة أبي المنجا، وفاطمة ابنة عبدالهادي، والبلقيني، والعراقي، والهيثمي، وابن الملقن، والعاقولي، وابن عرفة، كما اشتهرت بالتحديث، وأجازت لمؤرخ مكة ومحدثها النجم بن فهد، وكذلك أجازت لمؤرخ مصر شمس الدين السخاوي(١٣٩)، واستمرت في بث العلوم والمعرفة، وهي مصابة بالعمى في أواخر عمرها حتى حانت منيتها، وفارقت الحياة عام (٨٥٥هـ/ ١٤٥٠م)(١٤٠).

كما اشتهرت بنشاطها الملموس في الحركة العلمية أم الحسين الكبرى رابعة ابنة القاضي عبدالقادر بن أبي الفتح محمد بن أحمد الفاسي التي لازمت والدها العلامة، وتزودت من محيط علمه ومعرفته، وحصلت على إجازات من العلماء، وهي في سن مبكرة، فأجاز لها في عام (٨٢٤هـ/ ١٤٢١م) الولي العراقي، وعلي الفوي، وابن الزراتيتي، واستمرت في العطاء إلى أن توفيت في عام (٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م)(١٤١).

وعرفت من نساء الفاسي أم كلثوم سعيدة ابنة التقي محمد بن أحمد بن علي الفاسي بالعلم منذ نعومة أظفارها، فقد أحضرها

---

(١٣٨) السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص١٦٠، التبر المسبوك، ص ٣٨١، وذكر وفاتها سنة ٨٥٦هـ.

(١٣٩) النجم بن فهد، معجم الشيوخ، ص ٣٠٧، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ١٦٠.

(١٤٠) السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ١٦٠.

(١٤١) المصدر السابق، ج١٢، ١٤٠.

والداها وهي في سن الرابعة إلى حلقات العلم والتدريس لدى جدها وابن سلامة، وبذلك كانت خطوتها ثابتة على أرضية العلم؛ مما جعل كثيرًا من العلماء يجيزون لها، ومن أبرزهم العز بن جماعة، والشرف بن الكويك، وكانت وفاتها عام (٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م)(١٤٢).

وأضافت شريفة ابنة السراج عبداللطيف بن أبي الفتح محمد بن أحمد الحسني الفاسي صورةً جميلة للمرأة المكية في التعلم والتعليم للمجتمع المكي منذ ولادتها بمكة عام (٨١٠هـ/ ١٤٠٧م)، وحضورها للاستماع في حلقات العلم بالمسجد الحرام، وهي صغيرة السن، حيث سمعت من الزين أبي بكر المراغي "المسلسل"، وغيره من الكتب في مجال الحديث، وحصلت على إجازة من ابن الكويك وعائشة بنت عبدالهادي، وعلماء آخرين، واستمرت في التألق العلمي حتى فارقت الروح الجسد عام (٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م)(١٤٣).

ورصد الفاسي في كتابه العقد الثمين ترجمة لعالمة من البيت الفاسي، وهي عائشة ابنة أبي الخير محمد التي رأت النور للحياة في مكة المكرمة عام (٧٩١هـ/ ١٣٨٩م)، وسلكت طريق علم سلكه آل الفاسي في مشوار حياتهم، فأجاز لها جمع من العلماء المكيين، من أشهرهم ابن منيع وعبدالله خليل الحرستاني، وأبو الخير العلائي، والتنوخي، واستمرت بالعطاء، ولكن المنية عاجلتها، ولم تبلغ الأربعين من عمرها، وذلك عام (٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م)(١٤٤).

وتفوقت في علم الحديث، وفن إجادة الكتابة أم الحسين الصغرى فاطمة ابنة المحب المولودة بمكة عام (٨٢٢هـ/ ١٤١٩م)، وأضاءت في سماء المعرفة والعلوم بمكة حتى منحها كثير من العلماء إجازات، مثل: الجزري، وابن سلامة الشامي، والقباني، وابن ناظر الصاحبة، وابن

---

(١٤٢)، النجم بن فهد، الدر الكمين، ورقة ٢٢٩، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ١٥١.

(١٤٣) السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ٦٧.

(١٤٤) الفاسي، العقد الثمين، ج٨، ص ٢٥٠، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ٨١.

بردس، وعائشة ابنة الشرائحي، وما زالت تمنح نساء مكة علمها ومعرفتها حتى توفيت عام (٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م)(١٤٥)، وتعد أم عرفة ابنة القاضي عبدالقادر بن أبي الفتح محمد بن أحمد من أكثر النساء حفظاً ورواية في علم الحديث؛ عائداً ذلك لارتيادها حلقات العلم لعدد كبير من مشايخ وعلماء المسلمين الوافدين إلى مكة واستحصالها على كثير من الإجازات في العلوم الشرعية كافة من أساطين العلم والتدريس، وكانت وفاتها بمكة عام (٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م)(١٤٦).

أسرة بني ظهيرة:

كما سنستعرض في مجال بحثنا أسرة من أشهر الأسر المكية وأبرزها في شتى نواحي الحياة سواء في المناخ العلمي والمعرفي أو الاقتصادي أو الاجتماعي. وهي أسرة بني ظهيرة القرشية الأصل المخزومية، يرجع نسبها إلى الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشي، واشتهرت بصيتها الشاسع حتى ألف لهم النجم بن فهد كتابه "المشارق المنيرة في ذكر بني ظهيرة".

وامتازت هذه الأسرة بأن كان لها دور أكبر وأكثر تأثيراً في الحياة المكية على مدى قرون عدة فنرى كثيراً من أبناء هذه الأسرة يتولون مناصب الإفتاء والقضاء والتدريس وإمامة الحرمين، بل زاد الأمر عن ذلك، وأصبح لهم تأثير في صناعة القرارات السياسية في التاريخ المكي، ولم يعرف التاريخ الإسلامي أسرة علمية قامت بمثل هذه لمدة ستة قرون(١٤٧).

---

(١٤٥) السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ١٣٩.

(١٤٦) المصدر السابق، ج١٢، ص ١٤٨.

(١٤٧) المرداد، عبدالله بن حمد المكي (ت ١٣٤٣هـ/ ١٥٩٤م) المختصر من كتاب النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، جدة، عالم المعرفة، ١٤٠٦هـ، النجم بن فهد، معجم الشيوخ، ص ١٤٤، الدر الكمين، ورقة ١٣٦ أ، السخاوي، التحفة اللطيفة، ج٢، ص ٥١، ابن العماد، شذرات الذهب، ج٧، ص ٣٦١.

وقد رصدت كتب التاريخ والمعاجم لمؤرخي مكة أو العالم العربي بتراجم مكثفة لنساء مكة، ولو دققنا في معجم المؤرخ السخاوي "الضوء اللامع" لوجدنا أكثر من عشرين ترجمة لهذه الأسرة فقط في القرن التاسع الهجري فقط، وسوف أستعرض باختصار أبرز نساء هذه الأسرة التي كان لها دور كبير في تطور الحركة العلمية بمنطقة الحجاز، فقد تألقت كمالية ابنة علي بن عبدالكريم بن أحمد بن عطية التي تنشقت هواء العلم منذ ولادتها بمكة، وارتقت سلم العلم والمعرفة حتى أصبح يشار إليها بالبنان، وذلك لكثرة ما حصلت عليه من إجازات من علماء ومشايخ الحرمين، فأجاز لها النشاوري، والتقي بن حاتم، وزين الدين العراقي، والهيثمي، وعبدالواحد الصردي، وإبراهيم بن عدنان الحسيني، والكمال الدميري، وابن عرفة، وابن خلدون، كما منحت إجازات لكثير من العلماء، وأبرزهم النجم بن فهد، وشمس الدين السخاوي، وكانت وفاتها عام (٨٥٧هـ/ ١٤٥٣هـ)(١٤٨). كما نافستها في التألق أختها ست الأهل التي أجاز لها أيضاً العفيف النشاوري، وأحمد علي الحسيني، وعبدالواحد ذو النون الصوري، والشيخ زين الدين العراقي، ونور الدين الهيثمي، والتقي الدميري، وابن عرفة، والدميري، وابن خلدون، والشيرازي، وآخرون، وحانت منيتها عام (٨٤٩هـ/ ١٤٤٥م)(١٤٩).

كما شهد المجتمع المكي في هذه الفترة نبوغ علم ابنة الشهاب أبي العباس أحمد بن ظهيرة التي برعت في العلوم الشرعية خاصة علم الحديث، وأجاز لها جمع كبير من العلماء والمشايخ، ومنهم العلائي، والعز بن جماعة، والقلانسي، وناصر الدين الفارقي، والخلاطي، ومعين الدين بن الرصاص، ومحمد بن علي القطرواني، وناصر الدين

---

(١٤٨) النجم بن فهد، الدر الكمين، ورقة ٢١٦، معجم الشيوخ، ص ٣٢٦ - ٣٢٧، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ١٢٠.

(١٤٩) النجم بن فهد، الدر الكمين، ورقة ٢١٥، معجم الشيوخ، ص٣١٩، السخاوي، التبر المسبوك، ص ١٢٩، الضوء اللامع، ص٥٣، كحالة، أعلام النساء، ج٢، ص ٥١.

التونسي، وأبو الحزم القلانسي، كما أنها حدثت وسمع منها العلماء والمشايخ، وكان من أبرزهم التقي بن فهد، وأخوه، وابنه أبو بكر، وكانت ذات شخصية متميزة تحب عمل البر والخير، واشتهرت به، حتى وفاتها عام (٨١٨هـ/ ١٤١٥م)(١٥٠).

وعلى الاسم نفسه كانت هناك عالمة، وهي ابنة المحب أحمد بن محمد بن عبدالله المولودة بمكة عام (٨١٨هـ/ ١٤١٥م)، وجمعت الفضل والعلم من الطرفين، فوالدتها كمالية بنت عبدالرحمن الفاسي، فالبيتين أهل علم ودين، وقد أجيزت من علماء عصرها، ومنهم التاج بن بردس، والشمس العسقلاني، وابن طولوبغا، وغيرهم، وكانت وفاتها في عام (٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م)(١٥١).

كما اشتهرت من سلالة هذه الأسرة العلمية امرأة اتصفت بالمثابرة على طلب العلم، والقيام بالرحلات العلمية للاستزادة والتبحر في شتى العلوم الشرعية بذلك تميزت أم راجح ستيت ابنة علي بن أبي البركات بن أبي السعود المولودة في مكة عام (٨٣٤هـ/ ١٤٣١م) بالرحلات العلمية، فقد تكررت رحلاتها إلى المدينة المنورة مرات عدة بصحبة شقيقها البرهان ألمع رجال عصره في العلم والتذكار، ووصفها السخاوي بأنها فاضلة عالمة تكثر الطواف، وتساعد على عمل الخير والبر، وأجيزت منذ صغرها من والدها وعميها النجم وأبو السعادات، وكانت وفاتها عام (٨٨٦هـ/ ١٤٨١م)(١٥٢).

كما اشتهر عدد كبير من نساء بني ظهيرة - وسأختصر سيرهن - وأبرزهن زينب ابنة القاضي المحب أحمد بن الجمال بن ظهيرة (٨١٢ - ٨٦٣هـ/ ١٤٠٩ - ١٤٥٨م)(١٥٣)، وزينب ابنة أبي السعود محمد بن

---

(١٥٠) الفاسي، العقد الثمين، ج٨، ص٢٨، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ٨٣.

(١٥١) السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ٨٤.

(١٥٢) المصدر السابق، ج١٢، ص ١٤٦.

(١٥٣) المصدر السابق، ج١٢، ص ٣٩.

حسين التي أجاز لها جماعة من العلماء عام (٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م)(١٥٤)، وست الجميع ابنة علي بن أبي بركات محمد بن أبي سعود بن ظهيرة (ولدت عام ٨٣٥هـ/ ١٤٣١م)، وتزوجها قاضي الحنابلة عبدالقادر الفاسي(١٥٥)، وستيت ابنة أبي حامد محمد بن أبي الخير محمد بن ظهيرة (٨٤٣ - ٨٦٨هـ/ ١٤٤٠ - ١٤٦٣م)، وأجازها أبو الفتح المراغي، والزين الزركشي، وابن الفرات، وابن ناظر الصاحبة، وابن بردس، وأبو جعفر العجمي، وماتت وهي في مقتبل العمر، ولم تتجاوز العقد الثالث(١٥٦). وسمراء ابنة عبدالرحمن بن أبي بكر بن عبدالله بن ظهيرة المولودة بمكة عام (٨٣٢هـ/ ١٤٢٩م)، وأجاز لها جماعة من العلماء(١٥٧).

وفاطمة ابنة أبي حامد محمد أبي الخير محمد أبي السعود (ولدت عام ٨٣٨هـ/ ١٤٣٤م)، وأجاز لها جماعة من العلماء(١٥٨)، وفاطمة ابنة أبي الخير محمد بن أبي السعود (٧٩٤ - ٨٢٣هـ/ ١٣٩٢ - ١٤٢٠م) أجاز لها التنوخي، وابن الملقن، وغيرهم(١٥٩)، وفاطمة ابنة أحمد بن أبي بكر بن عبدالله أجاز لها الزين المراغي، وغيرهم، وتوفيت عام (٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م)(١٦٠)، وأم الحسن ابنة أبي الخير محمد بن أبي السعود محمد (٨١٦ - ٨٣٣هـ/ ١٤١٣ - ١٤٣٠م)، أجاز لها ابن المراغي وابن الكويك وغيرهم(١٦١)، وأم كمال عائشة ابنة الكمال أبي البركات محمد (٨١٤ - ٨٥٧هـ/ ١٤١١ - ١٤٥٢م) أجاز لها التقي الفاسي، والنور المحلي وغيرهم(١٦٢).

---

(١٥٤) المصدر السابق، ج١٢، ص ٤٧.
(١٥٥) المصدر السابق، ج١٢، ص٥٤.
(١٥٦) المصدر السابق، ج١٢، ص ٦٢.
(١٥٧) المصدر السابق، ج١٢، ص ٦٦.
(١٥٨) المصدر السابق، ج١٢، ص ٨٧.
(١٥٩) المصدر السابق، ج١٢، ص ١٠٤.
(١٦٠) المصدر السابق، ج١٢، ص ١٠٥.
(١٦١) المصدر السابق، ج١٢، ص ١٣٧.
(١٦٢) المصدر السابق، ج١٢، ص ١٥٤.

أسرة النويري(١٦٣):

وتستتبت الأرض الحجازية الخصبة البيوت المكية المتنافسة لمد الأغصان والأوراق المعرفية في بستان العلم والمعرفة، ليمتد خارج منطقة الحجاز، وتضيء الأسر المكية كحزم من الضوء، ويسطع شعاع أسرة النويري في سماء مكة، وينتهي نسب هذه الأسرة إلى عقيل بن أبي طالب التي كانت لها جهود مثمرة في نطاق العلوم الشرعية، وغيرها من العلوم الأخرى، وظلت هذه الأسرة تؤدي دورها العلمي إلى بداية القرن الثالث عشر الهجري، وبذلك تكون هذه الأسرة قد أدت خدمات علمية جليلة نشرت خلالها علم الحديث والفقه والتفسير وغير ذلك من العلوم(١٦٤).

وقد تخصصت أسرة النويري المشهورة في مكة في طلب العلم، والتأليف، وحظيت بنصيب وافر من المعرفة، وعدد أكبر من العلماء والعالمات عرفوا بحبهم للعلم، وعنوا به كثيراً، ولم يشغلوا أنفسهم في صغائر الأمور وحقيرها، وكانوا لا يُرون إلا في علم وعبادة، ومن أشهر نسائهم العالمات أم الخير سعيدة ابنة قاضي القضاة أبي العز محمد بن أحمد النويري المولودة في مكة (٨٠١ - ٨٥٠هـ/ ١٣٩٨ - ١٤٤٥م) التي نهلت العلم في مرحلة مبكرة من والدها، ونبغت واستزادت علماً وخلقاً، حتى أجاز لها سراج الدين البلقيني، وزين الدين العراقي، ونور الدين الهيثمي، والحلاوي، والسويداوي، وعبدالله خليل الحرستاني، ومريم بنت الأذرعي(١٦٥)، كما برزت إلى ساحة العلم والمعرفة عالمة جليلة بلغت درجة عالية من العلوم الشرعية، ودرست

---

(١٦٣) نسبة إلى نويرة: بضم النون وفتح الواو، تصغير نورة، ناحية بمصر، وهي بلدة مشهورة من صعيد مصر الأدنى. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ٣١٢.

(١٦٤) الفاسي، العقد الثمين، ج١، ص٣٠٠، السخاوي، التحفة اللطيفة، ج٣، ص٤٧٤، ابن العماد، شذرات الذهب، ج٦، ص ١٣٦.

(١٦٥) النجم بن فهد، معجم الشيوخ، ص ٣٠٥، الدر الكمين، ورقة ٢٢٦، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص١٤٥.

والتحقت في حلقات العلم لدى كل عالم، واستطاعت بحرصها أن تحصل على إجازات من علماء العالم الإسلامي من أكثر من خمسين عالماً، وهي كمالية ابنة علي بن أحمد بن عبدالعزيز الهاشمي العقيلي النويري (٧٨٢ - ٨٦٧هـ/ ١٣٨١ - ١٤٦١م) التي أبرز من أجاز لها العفيف النشاوري، وعبدالواحد الصردي، وابن خلدون، والتقي بن حاتم، وابن عرفة، وأبو هريرة الذهبي(١٦٦).

كما تنافست ابنتا عبدالرحمن بن علي بن أحمد بن عبدالعزيز النويري أم كمال عائشة (٧٩٢ - ٨٤٣هـ/ ١٣٩٠ - ١٤٤٠م)، وأم هانئ (المولودة سنة ٧٩٨هـ/ ١٣٩٦م) في تحصيل العلم والمعرفة والمثابرة على الارتقاء إلى مصاف العالمات؛ لتمارسا دوريهما في عملية التنوير والتعليم والتثقيف، وقد أجاز كثير من العلماء للأختين، ومن هؤلاء زين الدين العراقي، ونور الدين الهيثمي، وابن صديق، وابن الملقن، والبلقيني، وغيرهم كثير، كما اشتهرت عائشة بكثرة التعبد والطواف حول البيت الحرام(١٦٧).

كما تميزت من أسرة النويري خديجة المسماة بعيدة ابنة عبدالرحمن النويري (٧٩٨ - ٨٧٦هـ/ ١٣٩٦ - ١٤٧١م)، وكرست جل حياتها واهتمامها على نهل العلم، فأجاز لها عائشة ابنة عبدالهادي، والبدر البهنسي، والكمال الدميري، وأبو هريرة النقاش، ومحمد البكري، ومحمد الأبرقوهي، وسعد النووي، كما أنها أجازت لبعض العلماء، ومنهم شمس الدين السخاوي(١٦٨).

كما عرف من نساء بني نويرة أم الوفاء الصغرى ابنة القاضي علي بن أحمد (٧٩٦ - ٨٥٥هـ/ ١٣٩٤ - ١٤٥٠م) التي اشتهرت بورعها،

---

(١٦٦) النجم بن فهد، الدر الكمين، ورقة ٢١٦، معجم الشيوخ، ص ٣٢٥ - ٣٢٦، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص١٢٠.

(١٦٧) السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ١٥٣ - ١٥٥.

(١٦٨) النجم بن فهد، معجم الشيوخ، ص٣١١، الدر الكمين، ورقة٢٠٠، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص٢٨.

وأدبها حتى وصفها المجتمع المكي بالمباركة، وأجاز لها زين الدين العراقي، ونور الدين الهيثمي، والبلقيني، وابن الملقن، والتنوخي(١٦٩).

واستشرفت المجد ببلوغها قمة العلم في الحديث والتفسير أم كلثوم ابنة القاضي أبي عبدالله محمد بن أحمد التي تلقت العلم على يد والدها، وعلماء مكة، واهتمت بدراسة الحديث، وأجاز لها زين الدين العراقي، والفوي، والدنديلي وغيرهم، وترجم لها السخاوي، وذكر أنها توفيت بمكة في منتصف القرن التاسع الهجري(١٧٠).

وتميزت بنشاطها العلمي والديني أم الحسن سعيدة ابنة أحمد بن الكمال أبي الفضل محمد، ففي عام (٨٣٦هـ/ ١٤٣٥م) أجاز لها زين الدين العراقي، ونور الدين الهيثمي، وابن الملقن، وابن الذهبي، والتنوخي، وابن الشيخة(١٧١).

ومن كبار العالمات في البيت النويري زينب ابنة محمد بن أحمد بن عبدالعزيز (ت٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م)(١٧٢)، التي نهلت من بحر العلم المكي منذ صغرها، وسمعت من الكمال بن حبيب، وأجاز لها نخبة من علماء عصرها، وعشقت الترحال، فزارت المدينة المنورة مرارًا، وحدثت ببدر(١٧٣) شيئًا من مروياتها، واشتهرت بذاكرة قوية حيث حفظت القرآن، وكانت راوية تروي أخبار العرب، وتنشد الأشعار وتستشهد بها(١٧٤).

---

(١٦٩) النجم بن فهد، معجم الشيوخ، ص ٣٠٧، الدر الكمين، ورقة ٢١٦، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص١٦١.

(١٧٠) السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ١٥٢.

(١٧١) المصدر السابق، ج١٢، ص١٣٥.

(١٧٢) الفاسي، العقد الثمين، ج٨، ص٢٣٢، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص٤٦.

(١٧٣) بدر: بالفتح ثم السكون، ماء مشهور بين مكة والمدينة أسفل وادي الصفراء، وبهذا الماء كانت الوقعة المشهورة. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت، دار بيروت، ١٤٠٠، ج١، ص ٣٥٧ - ٣٥٨.

(١٧٤) الفاسي، العقد الثمين، ج٨، ص٢٣٢.

وتفتخر أسرة بني نويرية بغصون ابنة النور أبي الحسن علي بن أحمد (المولودة بمكة عام ٧٩٤هـ/ ١٤٥٠م)، التي عرفت بأصالتها ومروءتها وعفتها حتى أصبح يشار لها بالبنان؛ لما تحمله من علم واسع، وقيم نبيلة، فأجاز لها التنوخي، وابن الشيخة، والبلقيني، والهيثمي، وابن الملقن، ومريم الأذرعية، ولشهرتها الواسعة أصبح العلماء يستمعون إليها، ويطلبون إجازتها خاصة السخاوي(١٧٥).

كما أثنى مؤرخو مكة في القرن التاسع الهجري على سعيدة ابنة القاضي عز الدين محمد بن نويرة (ت٨٥٠هـ/ ١٤٤٥م) التي التحقت بحلقات العلم، وتعلمت على يد أساطين المشايخ، والعلماء في عصرها، وفاقت أقرانها في دراسة الحديث، وأجاز لها علماء الحرمين كالبلقيني، وزين الدين العراقي، ونور الدين الهيثمي، وأحمد بن عمر الجوهري، ومريم ابنة الأذرعي، وفاطمة ابنة عبدالهادي، ومن أبرز تلاميذها الذين تلقوا العلم على يدها، ومنحوا إجازة منها النجم بن فهد(١٧٦).

وحصل العديد من نساء بني نويرة على إجازات من علماء الحرمين كخاتون عائشة ابنة عبدالرحمن بن علي النويري التي أجاز لها عام (٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م) ابن صديق، والعراقي، والهيثمي(١٧٧)، وكذلك ستيت ابنة أبي عبدالله بن محمد بن علي النويري، التي أجاز لها جماعة من العلماء عام (٨٣٦هـ/ ١٤٣٢م)(١٧٨).

وأم الحسين المحب أحمد بن الكمال بن أبي الفضل محمد بن أحمد سمعت من أبي اليمن الطبري، وأجاز لها البلقيني، وابن الملقن، وابن الذهبي، وابن شيخة، والتنوخي(١٧٩).

---

(١٧٥) السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص٨٥.

(١٧٦) النجم بن فهد، معجم الشيوخ، ص٣٠٥، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص١٤٥.

(١٧٧) السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ٢٣.

(١٧٨) المصدر السابق، ج١٢، ص ٦٢.

(١٧٩) المصدر السابق، ج١٢، ص ١٣٩.

أسرة المرشدي:

وتعد أسرة المرشدي من الأسر التي استوطنت مكة المكرمة من أوائل القرن الثامن الهجري، وعميد هذه الأسرة هو العالم برهان الدين إبراهيم بن أحمد بن أبي بكر بن عبدالوهاب الفوي(١٨٠) المرشدي (ت٧٨٢هـ/ ١٣٨٠م)(١٨١).

واشتهرت هذه الأسرة في هذا القرن بريادتها في علوم اللغة العربية خاصة علم النحو، ويغلب على هذه الأسرة الانتساب إلى المذهب الحنفي، وأسهمت في إثراء الحركة العلمية بمنطقة الحجاز، وكانت لها جهود مكثفة واضحة في خدمة العلم، وكان في أسرة المرشدي نساء يعدون من مفاخر المجتمع النسوي المكي، أثنى عليهن القريب والبعيد، ومن أبرزهن وأكثرهن شهرة خديجة، والمسماة سعادة بنت إبراهيم بن أحمد بن أبي بكر المرشدي التي نبغت في علم القرآن، واللغة العربية، ودراسة علم الحديث، وحصلت على إجازات من علماء الحرمين الشريفين كالعفيف النشاوري، والتقي بن حاتم، وعزيز الدين المليجي، وأبي هريرة بن الذهبي، وابن المطرز، والبرهان الأحدي، والصردي والتنوخي، ولقد ذكرها التقي بن فهد في معجمه أنها توفيت عام (٨٢٧هـ/ ١٤٢٣م)(١٨٢).

ونافستها في الحضور للاستماع إلى حلقات العلماء منذ نعومة أظفارها أختها زينب التي سمعت من البرهان بن صديق والشمس بن سكر والمراغي والنشاوري(١٨٣).

---

(١٨٠) نسبة إلى فُوّه من مصر، وهي بليدة على شاطئ النيل من نواحي مصر قرب رشيد، تمتاز بكثرة أشجار النخيل، والسور المحيط بها. ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص ٢٨٠.

(١٨١) الفاسي، العقد الثمين، ج٣، ص ٢٠٢، ابن حجر، أحمد شهاب الدين، أنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق: عبدالله الحضري، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦، ج١، ص ٢٢٠، ابن العماد، شذرات الذهب، ج٧، ص ١٩٨.

(١٨٢) ابن فهد، معجم الشيوخ، ص٣١٢، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص٢٤.

(١٨٣) ابن فهد، الدر الكمين، ورقة ٢١٠ أ، كحالة، أعلام النساء، ج٢، ص ٤٥.

وأسهمت أم هانئ ابنة عبدالواحد بن إبراهيم بن أحمد بن أبي بكر المرشدي المكي (٨٠٦ - ٨٦٦هـ/ ١٤٠١ - ١٤٦٠م)(١٨٤) بدورها في خدمة العلوم الشرعية، ونبغت في علم الحديث، وأجازها كثير من العلماء(١٨٥).

وتعد جهود عائشة بنت محمد بن إبراهيم بن أحمد المرشدي (٧٩٨ - ٨٤٦هـ/ ١٣٩٦ - ١٤٤١م) سجلاً في تاريخها المعرفي، فلقد حرصت في سن مبكرة على طلب العلم، فحضرت على ابن صديق، والشمس بن سكر، والمجد اللغوي، والزين المراغي، والنور علي بن حسن الخزرجي، وطلبت الإجازة منهم، وأسهمت في الرقي بمستوى المرأة في المجتمع المكي(١٨٦).

ولم يقتصر تعليم المرأة المكية على الأسر الغنية، أو الأسرة العلمية، بل اتسعت الدائرة؛ لتشمل المرأة في المجتمع المكي، وبلغ الأمر أن بعض هؤلاء النسوة فقن واشتهرن بعلمهن على بعض نساء الأسر العلمية، ويؤكد ذلك ما سجله ابن فهد في ترجمته لإحدى شيخاته، وهي فاطمة بنت علي المشهور بابن سكر (٧٧٩ - ٨٥١هـ/ ١٣٧٧ - ١٤٥١م)، اشتهرت بالحديث والرواية، وذلك لسماعها المبكر على أيدي كثير من علماء ومشايخ وفقهاء عصرها بمكة المكرمة، أجاز لها الجمال الأميوطي، والبرهان القيراطي، والبرهان الشامي، وأبو هريرة الذهبي، وابن أبي المجد، وعبدالله بن خليل الحرستاني، وأحمد بن خليل العلائي، وزين الدين بن رجب، وكانت من النساء المباركات(١٨٧).

---

(١٨٤) ابن فهد، معجم الشيوخ، ص ٣١٤.

(١٨٥) ابن فهد، الدر الكمين، ورقة ٢١٨، معجم الشيوخ، ص٣٠٦، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ١٥٦.

(١٨٦) السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ٧٩.

(١٨٧) ابن فهد، الدر الكمين، ص ٣٤٣، معجم الشيوخ، ص ٣٢٣، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص١٢٨، التبر المسبوك، ص ١٩٨.

ولقد تحقق لسارة ابنة عمر بن عبدالعزيز بن محمد بن جماعة الكناني (ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م) شهرة واسعة، وتتلمذ على يديها كثير من علماء وعالمات مكة، وذلك بعد أن حصلت على كثير من الإجازات من علماء عصرها، وأجاز لها محمد السوقي، وحسن الهبل، وأحمد النجم وعمر بن أميلة، والكمال الأذرعي(١٨٨).

ومنصورة ابنة عبدالله محمد أحمد قاسم القرشي الحرازي برعت وفاقت في العلوم الشرعية، وخاصة علم الحديث، أجاز لها علماء عصرها كالبرهان الشامي، وأبي هريرة الذهبي، وزين الدين العراقي، ونور الدين الهيثمي توفيت عام (٨٥٧هـ/ ١٤٥٢م) بمكة(١٨٩).

وعائشة بنت عبدالوهاب عبدالله اليافعي (٧٨٩ - ٨٦٦هـ/ ١٣٨٧ - ١٤٦١م) أجاز لها من أجاز لسابقتها منصورة(١٩٠).

وباي خاتون ابنة نور الدين أبي الحسن علي الخزرجي السبكي (٧٧٥ - ٨٦٤هـ/ ١٣٧٣ - ١٤٥٩م)، سمعت العلم من صغرها من التقي أبي بكر عبدالرحمن المزي، وأجاز لها أحمد بن بكر عبدالهادي، وسلامة الذهبي ومحمد المقدسي، ومحمد المزة(١٩١).

وبركة ابنة أبي هريرة أحمد علي الطحان، سمعت من زوجها الحافظ صدر الدين الياسوفي، وأجاز لها علماء عصرها، وتوفيت سنة (٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م)(١٩٢).

---

(١٨٨) ابن فهد، معجم الشيوخ، ص ٣١٨ - ٣١٩، السخاوي، الضوء اللامع، ج ١٢، ص٥٢، كحالة، أعلام النساء، ج٢، ص١٢٤.

(١٨٩) ابن فهد، الدر الكمين، ص٢١٥، معجم الشيوخ، ص٣٢٩، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص١٢٧.

(١٩٠) ابن فهد، معجم الشيوخ، ص٣٢٢، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص٣٢٢.

(١٩١) ابن فهد، معجم الشيوخ، ص٣٠٨، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ٣٠٨.

(١٩٢) ابن فهد، الدر الكمين، ص٢١١، معجم الشيوخ، ص ٣٠٩، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص١٢، كحالة، أعلام النساء، ج١، ص ١٢٢.

وبدور ابنة عبدالله أحمد المريسية (ت٨٥٠هـ/ ١٤٤٥م) أجاز لها عائشة ابنة عبدالهادي والمجد اللغوي، والزين العراقي، والجمال بن ظهيرة، وأجازت السخاوي(١٩٣).

وخديجة ابنة عمر محمد عمر العجمي (٧٩٥ - ٨٦٥هـ/ ١٣٩٣ - ١٤٦٠م) سمعت العلم في سن مبكرة من البرهان بن صديق "صحيح البخاري" و"ثلاثيات الدارمي"، واشتهرت بعلم الحديث وتدريسه(١٩٤).

أبرز العلماء والمؤلفات:

كان للقداسة المكية بوجود الحرم الشريف والكعبة المقدسة دورٌ في تمتعها بمركز ثقافي كبير بين بلدان العالم الإسلامي، وقامت بدور مميز في إثراء الحركة الثقافية في العالم الإسلامي، وتعددت أنظمة التعليم ومؤسساته بداية بالمنزل، ثم بالكتاب، والمكاتب، والمساجد خاصة المسجد الحرام، والأربطة، والمجالس العلمية، ثم المدارس المتنوعة التي بلغت في هذه الفترة أكثر من ثلاثين مدرسة؛ مما نتجت عنه حياة علمية مزدهرة التقت فيها جهود المكيين والمدنيين والمجاورين بجهود القادمين للحج والزيارة؛ فتكونت نهضة علمية ضاهت المراكز العلمية الأخرى بل أسهمت فيها.

ولا شك أن أغلب المؤلفات والكتب كانت تمثل مظهراً من مظاهر النشاط العلمي بمكة، وربما قام مؤلفوها بتدريسها، فكان الاهتمام منصباً أولاً على علوم القرآن، حيث يعد المصدر المعرفي الأول لدى المسلمين، فكان الاهتمام بقراءته وتلاوته، وتجويده، وتفسيره، والعلوم المتعلقة به متمثلين في ذلك بقول الرسول ﷺ: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"(١٩٥).

---

(١٩٣) ابن فهد، معجم الشيوخ، ص ٣٠٩، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ١٢، كحالة، أعلام النساء، ج١، ص ٣٣٩.

(١٩٤) ابن فهد، معجم الشيوخ، ص٣١٣، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ٢٩.

(١٩٥) ابن حجر، أحمد شهاب الدين، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، إشراف عبدالعزيز بن باز ومحمد عبدالباقي ومحب الدين الخطيب، بيروت، دار الفكر، ج٩، ص ٧٤.

كما عني المكيون بالحديث النبوي عناية خاصة، فهو المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، الذي وضع له علماء السنة قواعد الرواية التي هي أدق وأصح طريق علمي في نقل الروايات واختبارها، كما كرسوا اهتمامهم بدراسة الفقه، وذلك لارتباطه بالدين، وعمق اتصاله بالقرآن والسنة؛ فيسروا قواعده، ووضحوا تعاليمه، كما حظيت اللغة العربية وعلومها المختلفة بعناية كبيرة جداً، ونلحظ أن الاهتمام بها أول ما يبدأ بحلقات القراء والمحدثين والفقهاء، كما أن الاهتمام بتعليم الأطفال بعض أمور النحو يبدأ من المراحل الأولى، وبذلك اتسعت آفاق ومباحث اللغة والدراسات الأدبية، كما حظي التاريخ بمكانة بارزة، وقام بدور بارز في تكوين الثقافة الدينية للمجتمع المكي فضلاً عن دوره في الحياة الاجتماعية وفنون الأدب والنشاطات السياسية والإدارية، وقل الاهتمام بعلم الكلام؛ لأنه علم لم يكن مرغوباً به في مكة المكرمة؛ ذلك لأن آراء الفقهاء ترى أن المشتغلين بهذا العلم إنما هم أهل أهواء وبدع(١٩٦) والزهد والتصوف والعلوم البحتة والتطبيقية(١٩٧)، وسأورد بعض النصوص التي تبين أبرز العلماء في القرن التاسع الهجري بمكة مع أهم المؤلفات في شتى المجالات التي كانت تدرس في مناخات مكة المعرفية، وأفتتح بنص في معجم الشيوخ يترجم لأم هانئ زينب ابنة تقي الدين، وقد سبقت ترجمتها.

قل الاهتمام بعلم الكلام؛ لأنه علم لم يكن مرغوباً به في مكة المكرمة

و"حضرت على الشريف أحمد بن علي الفاسي، ونور الدين علي بن أحمد بن سلامة المجلس الأخير من الربع الأول من "السنن الكبرى" للبيهقي، و"مشيخة ابن البخاري" تخريج ابن الظاهري، ومن

---

(١٩٦) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٢، القاهرة، دار الفكر للطباعة، ١٤٠٠هـ، ص ١١١.

(١٩٧) ابن فهد، معجم الشيوخ، السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، كحالة، أعلام النساء ج١.

الجمال محمد بن أبي بكر الرشيدي بعض "مشيخة ابن البخاري"، مع المذكورين، وسمعت من نور الدين أرسلان "سنن أبي داود" و"الشفا"، والمجلس الأخير من "صحيح البخاري"، ومن "السنن الصغرى" للنسائي، ومن "سنن ابن ماجه" وبعض "مسند الإمام أحمد" وجزء سفيان بن عيينة، وجزء البانياسي، وجزء "البيتونة"، وجزء القزاز، وسبعة مجالس من أمالي المخلص، و"مشيخة الجمال الأميوطي" و"السفينة الجرائدية الكبرى" و"مسلسلات ابن شاذان" رواية محمد بن عبدالواحد الدارمي، و"الأربعين الصغرى" للبيهقي، وخمسين حديثاً منتقاة من المجلد الثاني من "السنن الكبرى" للبيهقي انتقاء البرزالي، وسمعت من الجمال محمد بن أبي بكر الرشيدي "صحيح ابن حبان" والمجلس الأخير من "سنن ابن ماجه" وقطعة من أول كتاب "النسب" للزبيري، وجزء ابن الطلابة وقصيدتي البوصيري "الهمزية" و"البردة"، وغير ذلك، ومن أخيه نجم الدين المرجاني جملة من "مسند أحمد" والمجلس الأخير من "الرياض النضرة" للمحب الطبري، وقطعة من أول "الموطأ" رواية يحيى بن بكير، ومن الشمس الجزري وشمس الدين الكناني الشامي مفترقين جميع "مسند الإمام أحمد"، ومن عبدالرحمن بن طولوبغا الحديث المسلسل بالأولية، و"المئة الفراوية"، و"مشيخة ابن عبدالدائم"، و"الأربعين الموافقات" للذهبي، ومن الشهاب أحمد بن إبراهيم الرشيدي، "السيرة النبوية الصغرى" للعز ابن جماعة، وجزء ابن الطلابة، و"صحيح ابن حبان"، وقطعة من أول "الأنساب" للزبير بن بكار ومن أخيه الجمال محمد بن إبراهيم المرشدي، المجلس الأخير من "سنن ابن ماجه"، و"المئة المنتقاة من مشيخة ابن البخاري" انتقاء العلائي، ومن الجمال محمد بن علي الزمزمي "المسلسل بالأولية"، وجزء ابن الطلابة، ومجلسا من "أمالي نظام الملك".

و"الأربعين الموافقات" و"الإبدال" تخريج الحافظ جمال الدين موسى المراكشي له ولغيره و"الأربعين العشاريات" تخريج الإمام نسيم

الدين عبدالغني الرشيدي له ولغيره، ومن الجمال محمد بن علي النويري المجلس الأخير من "الرياض النضرة"، ومن المجد إسماعيل بن علي الزمزمي بعض "مسند أحمد"، ومن محمد بن محمد بن جهيل جزءاً مخرجاً من حديثه تخريج والدي، ومن إبراهيم "المسلسل بالأولية"، و"الأربعين" المخرجة له تخريج والدي، ومن والديها وغيرهما. وسمعت بالمدينة من الشيخ نور الدين المحلي والشريف أبي عبدالله الفاسي بعض"الاكتفاء" للكلاعي، ومن المحلي فقط بعض "أسباب النزول" للواحدي والقصيدة "البردة". وأجاز لها خلائق من الحرمين، وبيت المقدس، والخليل، والقاهرة، ودمشق، وحلب، وبعلبك، وحمص، وحماة، وغزة، والرملة، وعدة من البلاد، فمن مكة: الخطيب أبو الفضل محمد بن أحمد بن ظهيرة، ومحمد أخوه قاضي مكة أبو البركات بن ظهيرة، والقاضي شهاب الدين، والقاضي تقي الدين الفاسي، وشمس الدين الكفيري، وشمس الدين البرماوي، والشمس الهروي وخلق، ومن المدينة القاضي عبدالرحمن بن صالح وابن عمه محمد بن علي، وأبو البركات ابن صرصري، وأخوه عبدالله وعبدالرحمن بن الحسين وعلي الزرندي، وجمال الدين الكازروني، وأسماء وعائشة ابنتي أبي بكر بن الحسين المراغي، ومن بيت المقدس عبدالرحمن القبابي، وشمس الدين بن الغزي، وعبدالمؤمن بن علي بن عبدالمؤمن وغيرهم، ومن الخليل شمس الدين التدمري، وإبراهيم بن حمزة الحسيني، ومن تعز النفيس العلوي، والجمال ابن الخياط، ومن زبيد الموفق علي بن أبي بكر الناشري، والجمال المقري، ومن القاهرة الحافظان ولي الدين العراقي وشهاب الدين ابن حجر، وشهاب الدين الكلوتاني وعثمان بن أحمد الريديمي، ومحمد بن محمد بن عبدالكبير الفوي، وشمس الدين بن الزراتيتي، ورقية ابنة محمد بن علي التغلبي، وعبدالله بن محمد بن سراج الدين بن قارئ الهداية، ومحمد بن حسن البيجوري، ومحمد بن بهادر السقطي، ومجد الدين

البرماوي، وزين الدين الشمني، وأحمد بن محمد بن أبي بكر الباسطي، وتقي الدين المقريزي، وحسين البوصيري، وعبدالرحمن الزركشي، وخلق، ومن دمشق نجم الدين بن حجي، وشمس الدين بن ناصر الدين، وتقي الدين بن زريق، ومحمد بن عبدالله بن يوسف الحجازي، وعبدالله، ومحمد بن مفلح، وعبدالرحمن بن المحب، وعائشة ابنة إبراهيم بن الشرائحي، وغيرهم، ومن بعلبك تاج الدين بن بردس، وأخوه علاء الدين، ومحمد بن محمد بن يعقوب البعلي، وعائشة بنت محمد بن عيسى البعلي، ومن حلب الحافظ برهان الدين العجمي، والقاضي أبو جعفر بن العجمي، وشهاب الدين بن العديم وجماعة"(١٩٨).

ويوثق هذا النص ترجمة أوردها أيضاً ابن فهد لزينب ابنة إبراهيم المرشدي: "وسمعت بها من البرهان بن صديق "ثلاثيات البخاري" و"ثلاثيات الدارمي" وجزء البانياسي و"الرخصة في تقبيل اليد والرجل" لابن المقرئ، وجزء "من عاش من الصحابة مئة وعشرين" لابن مندة، ومن أبي حفص عمر بن أبي بكر البالسي جزء الأنصاري "وفوائد ابن ماسي"، ومن المحدث شمس الدين بن شكر "الحديث المسلسل بالأولية" و"مختصر عجالة المنتظر" لابن الجوزي، ومن أحمد بن حسن بن الزين أحاديث منصور بن عمار جمع أبي بكر الهمداني والثاني من "مسلسلات ابن مسدي" والأول والثاني من الأول من "أمالي محمد بن يحيى الصولي"، ومن شيخنا أبي بكر بن الحسين "الحديث المسلسل بالأولية" و"ثلاثيات البخاري"، و"جزء البطاقة" وغير ذلك، وأجاز لها النشاوري والتقي بن حاتم، وعزيز الدين المليجي، وأبو هريرة بن الذهبي، وابن المطرز والبرهان الأموي، وعبدالواحد ذو النور الصردي، والزفتاوي، والبرهان الشامي والسويداوي، والقاضي إسماعيل الحنفية"(١٩٩).

---

(١٩٨) ابن فهد، معجم الشيوخ، ص ٣٩٨ - ٤٠٠.

(١٩٩) المصدر السابق، ص ٣١٤ - ٣١٥ .

من خلال هذين النصين تتضح الصورة المعرفية السائدة في المجتمع المكي، والدور المميز، والمكثف الذي بثه علماء مكة في القرن التاسع الهجري، والمؤلفات التي كانت تدرس في حلقات العلماء، والكتاتيب، والأربطة، والمدارس، وأسهمت هذه المؤسسات والمنابر الثقافية في صنع قاعدة معرفية ثقافية تفاعلية نسائية للمجتمع المكي.

بذلك يكون الهدف من تعليم المرأة هو رغبة ولي أمرها في إنارة عقلها، وترقية تفكيرها، وتهيئتها؛ لتمارس دورها في حياتها المستقبلية، ولم يكن ينظر لتعليم المرأة على أنه إعداد لها لتعمل، أو أن يكون وسيلتها؛ لتحصل لقمة العيش، فإذا كان الرجل المكي يتعلم من أجل العلم لا لكي يحصل على عائد مادي، فإن المرأة وقد كفاها الرجل النفقة، من باب أولى تتعلم؛ لكي تنفع نفسها ومجتمعها.

ولا ريب أن الوصول بالمرأة إلى هذا المستوى الراقي من التكوين الخلقي، والروحي، والنفسي، والفكري نعمة إنسانية كبرى لا تعدلها نعمة من النعم الكثيرة التي يتقلب في أعطافها البشر، وإنجاز حضاري أكبر من كل إنجاز توصلت إليه الإنسانية في عمرها الطويل، ذلك أن بلوغ المرأة هذا المستوى العالي من التكوين يعني نمو إنسانيتها، ونضج شخصيتها، وأهليتها الكاملة؛ لأداء رسالتها الكبرى في الحياة مع توأمها الرجل في إعمار الكون.